Universitäts- und Landesbibliothek Bonn

Tar□amat hayat al-qiddīs Burfīriyūs usquf Ġaza

Marcus <Diaconus>

Ūrušalīm, 1900

urn:nbn:de:hbz:5:1-15892

Visual Library

Goussen 2815

وبين اقلوم (١) الكنيسة خلاف على ضياعٍ نشأَت عنهُ اهانة الاول فثار اهل المدينة (اليونان) مع رجال دار الندوة واوقعوا بابناء الكنيسة حتى اضطرَّ القديس برفيريوس ان يهرب ملتجئًا الى بيت يختبئ فيه فوجد جاريةً اسمها سلافثا دُعيت فيما بعد ايريني (٢). ثم ادَّب الحاكم واسمه اكليروس الثائرين على الكنيسة فأَعاد الهدوء والراحة الى المدينة. اما ايريني المذكورة فقد عمَّدها القديس برفيريوس بعد ذلك مع خالتها (٣) وجدَّتها. فرفضت العالم واعتنقت سيرة التوحُّد الالهيَّة

وبعد ان اقام برفيريوس البار على كرسي اسقفية غزة عدة سنين رقد بالرب وذلك في اليوم السادس عشر من شهر شباط وكانت مدة اسقفيته عليها اربعًا وعشرين سنةً وأَحد عشر شهرًا وثمانية ايام. فانت ايها الاله يا مَن مجَّد رئيس كهنته وعبده الامين برفيريوس واعتق به شعبه من ضلال عبادة الاوثان وهداه الى معرفة الحق انعطف الان ايضًا بشفاعاته بما انك صالح وانقذ كنيستك من ضلال كل هرطقة وسوء اعتقاد يسودان في العالم فانك اله تريد خلاص الكل. لك المجد والعزَّة الى دهر الداهرين امين

---

(١) انظر الحاشيه في الصحفة ٧٤ (٢) انظر الحاشية في صفحة ٧٦

انظر الحاشية في صفحة ٧٧

والردود وقد جمعها في مؤلَّف خاص كما قال (١) . واذ تطاولت جوليا كثيراً بالتجديف على سيد الكل ربنا يسوع المسيح انتهرها القديس برفيريوس قائلاً ليضرب لسانكِ الربُّ الاله صانع كل البرايا المنظورة والغير المنظورة المجدَّد في ثالوثٍ وليُسكمْكِ حتى لا تنطقي بكلام تجديف بعد على الله خالق كل الكائنات فأُصيبت في الحال بالخرس ثم بُعيد ذلك ماتت . فبُهت مَن كان معها من تبَّاع ماني وتابوا وآمنوا بالرب

ثم بعد خمس سنوات دشَّن برفيريوس البارُّ الكنيسة المقدسة باحتفال عظيم لم يشفق في النفقات دليهِ على النقود فأَولم لكل الشعب والفٍ من الرهبان في يوم الفصح المقدس وليمة كان يُرتَّل فيها بعد الطعام مزمور وبعد الشراب تسبيحةٌ وكان يضيف الغرباء القادمين الى المدينة مانحاً كلاًّ منهم لنفقة يومهِ ستة فلوس . واوصى بان يُعطَى كلُّ فقير الى مدة اربعين يوماً بعد الفصح عشرة فلوس مخصصاً بذلك ايرادضيعةٍ وقفها وأَمر بان تُحال تلك الضيعة بطريقة شرعية الى مطرانية قيسازية ان لم يقبل الاسقف الذي يخلفه في رئاسة كنيسة غزة بأَن يوزِّع ايرادها طبق وصيتهِ المذكورة

ثم وقعت حادثة سميسيخوس الحاكم . فانه وقع بين المذكور

---

(١) يظهر من ذلك ان هذه الترجمة لم يلخصها مرقس نفسهُ صاحب الترجمة الاولى بل لخَّصها رجل غيره عن ترجمتهِ

ثلاثمائة نفس

ثم خطَّط الكنيسة على هيئة صليب طبق الرسم الذي ارسلتهُ الملكة افدوكسية وفي اثناء بنائها عطش يوماً ثلاثة من الاولاد عمر كل واحد منهم نحوست او سبع سنوات فقصدوا البئر التي خارج الهيكل للاستقاء منها فانكسرت الخشبة التي على فمها فسقطوا الى قاعها فحدث اضطراب عظيم فدلّوا اليها رجلاً فوجدهم واقفين على حجر فيها فنشلوهم في قفةٍ وفحصوهم فلم يجدوا فيهم اثر هشمٍ بل وجدوا عليهم رسوم صلبان كأنها من حنَّاء الواحد منهم على جبينهِ والآخر على يدهِ اليُمنى بقرب الاصابع والاخر على كتفهِ اليُمنى

ثم حضرت من انطاكية الى غزة امرأة اسمها يوليا (او جوليا) من تلامذة ومعلمي بدعة ماني مصحوبةً برجلين ونساء. فاخذت تطوف وتعلّم فافسدت ضمائر البعض بقوَّة الشرف والمال. فلما بلغ الاسقف البار خبرها استحضرها واستطلعها طلع حالها فاقرَّت وقالت لهُ عيّن يوماً للمناظرة فاما تُقنع او تُقنَع. فصام ثمَّ اخذ الانجيل بين يديهِ وابتدأ يناظرها ويجادلها وكان كرنيليوس الشماس يكتب ما تطارحه الطرفان في تلك المناظرة من الاعتراضات

النحاسية وضعوا عليها النار فيحترق كلهُ وليس في الامكان هدمهُ بغير هذه الطريقة . واما الهيكل الخارجي فدعوهُ مع ما يحيط بهِ . وبعد ان تنظّفوا المكان وتطهّروه ابنوا فيه كنيسة مقدسة . وقال ايضاً اناشدكم الله ان لا تعملوا غير ما قلت فلست انا المتكلم بل المتكلم بي هو المسيح . وقد قال هذا الكلام كله باللغة السريانية . فلما بلغ الاسقف ذلك مجّد الله ثم استحضر امَّ الصبي وقال لها أَبتلقين منكِ قال الصبي ما قال . فأَقسمت انها لم تلقّنهُ شيئاً من ذلك . ثم استحضر الصبيَّ وتهددهُ مخوّفاً فصمت الصبي قليلاً ثم قال باليونانية ما قالهُ قبل عن حرق الهيكل بالسريانية فذُهل الحضور كلهم ومجّدوا عظائم الله . اما الأُمُّ فقد اكدت بأَقسامٍ انها لا تعرف لا هي ولا ابنها اللغة اليونانية اصالةً . ثم أعطاها الاسقف البارثلث قطع من النقود فاخذتها فرآها ابنها فصاح بالسريانية قائلاً لا تاخذي يا امَّاه لا تبيعي انتِ ايضاً موهبة الله بذهب . فردَّتها للاسقف واستعاضت عنها بالبركة والدعاء . ثمَّ اجرى الاسقف كل ما قالهُ الصبيُّ وحرق الهيكل طبق ما أُوحي بهِ اليهِ . وكان تريبون وهو يوناني اي وثنيٌّ في الحقيقة يتظاهر بالنصرانية يضرب بعض المسيحيين بالسياط بعلّة قصده حفظ النظام فسقطت على راسه قطعة خشب وقتلته . فآمن بالمسيح في خلال ذلك

ثم وصل الكونت عاجلاً ومعه وزير واميرواعوان عسكريون وملكيون فهدموا معابد الاصنام اخصها ثمانية وهي معبد بعل او الشمس ومعبد افروديتي ومعبد ابولّون ومعبد كوري ومعبد ايكاتي ومعبد ايروس ومعبد تيخي ومعبد زفس مولود كريت(١) وكانوا يعتبرونه اعظم وافضل الهيا كل كلها. ثم هدموا معابد الاصنام في البيوت وكانت اكثر من ان تُعدَّ. واذ رأى اليونان ذلك انتحبوا باكين ومولولين فاعمل الروساء فيهم الضرب بالعصيّ والنبابيت. اما القديس برفيريوس فكان قد حرم في الكنيسة كلّ مسيحي ينهب من معابد الاصنام شيئاً من ذهب كان او فضة

فقضوا عشرة ايام في حرق الاصنام ومعابدها ثمّ اخذوا يفتكرون بامر هيكل مارنا كيف يتصرّفون بهِ أَيهدمونهُ ام يحرقونهُ ثم يطهرونهُ لكي يجعلوهُ بيتاً لله. فصاموا وعقدوا اجتماعاً في الليل للصلاة فصاح في اثناء ذلك بغتةً من بين الشعب ولدٌ كان واقفاً مع امهِ ولهُ من العمر نحو سبع سنوات وقال احرقوا الهيكل الخارجيّ حتى الحضيض فقد جرت فيهِ فظائع كثيرة لاسيما تضحية البشر وليكُنْ حرقهُ على هذه الطريقة اي جيئوا بقطران وكبريت وشحم خنزير واخلطوا الثلاثة معاً واطلوا ابوابهُ

(١) انظر الحواشي في الصفحة ٥١

ثم بعد يومين حدث نوءٌ هائل جعلهما ييأسان من الحياة فاخذا يصلّيان متضرعين الى الله ومستغيثين بصلوات القديس بروكوبيوس الناسك . فظهر بروكوبيوس البار لبرفيريوس المغبوط في الحلم عند الفجر وقال لهُ «عظا ربّان السفينة واختماهُ فانهُ اريوسي المعتقد ولذلك لم يسمح لكما بزيارتي . فاجعلاهُ يلعن اريوس وبدعتهُ الوخيمة فيهدأ النوءُ في الحال . فاخبرا الربّان بما كان فاقرّ ولعن اريوس وبعد ان اختتم واتّعظ تناول الاسرار الالهية فانكفّ النوءُ في الحال وهدأ البحر فوصلا في اربعة ايام الى مايوما حيث استقبلهما اهل المدينة وباقي المدن والقرى بالتراتيل

ولما دخل الاسقف المدينة وبلغ المكان المدعوّ تترامفودوس (١) حيث كان منصوباً على عمودٍ تمثال افروديتي (٢) من الرخام بادي العورة كلها يخدع الرجال والنساءَ خرج روح الجن الذي فيه فسقط وتحطّم متكسّرًا وحطم اثنين من اليونان الذين كانوا هناك لانهما كانا واقفين يهزءان بالشعب المسيحي ويسخران به . فآمن من اليونانيين بسبب ذلك اثنان وثلاثون رجلاً وسبع نساءَ

---

(١) الطريق المربّع او المصلّب (٢) الزهرة وهي الهة الجمال عند قدماء اليونان

العظيم ثاودوسيوس الصغير وناولا حامله العريضة وكانت الملكة قد امرتهُ ماذا يفعل . ففتحها وقرأَ جزءًا منها ثم امسك بيده راس الطفل وحناهُ قليلاً على مرأى من الجميع وقال قد امرتْ جلالتهما باتمام ما في العريضة . ولمَّا وصلوا الى البلاط استقبلت الملكة الطفل والملك وقبَّلتهما وطلبت ان تُتلى العريضة فتُليت فقال الملك ان الطلب ثقيل ولكنّ الرفض اثقل لانهُ اول امرٍ صدر من ابننا . فقالت الملكة افدوكسية لا لانهُ اول طلب فقط بل لانهُ طلب يتعلَّق بالتقوى وحسن العبادة ايضاً وقد جرى على هذا الوجه . فقبل الملك واصدر خطًّا الهيًّا أُرسل مع الكونت كينيجيوس من رجال دار الندوة وكان رجلاً حارّ الايمان . وقبض برفيريوس المغبوط من الملكة قنطارين من الذهب (١) لبناء الكنيسة وقبض كلٌّ من برفيريوس ويوحنا مطران قيسارية مائة دينار لنفقته . ثم عيَّن لكل منهما من اموال فلسطين عشرون ليترًا ذهباً وهكذا ودَّعاهم جميعاً وابحرا راجعين

ولما وصلا الى رودس ارادا ان يزورا بروكوبيوس البار فلم يسمح لهما ربَّان السفينة بذلك لانهُ كان هرطوقيًّا على غير علمٍ منهما . فاقلعا بالسفينة منها وابحرا وكان الهواء جيِّداً والبحر رائقاً .

---

(١) انظر الحاشية في الصفحة ٤٤

يمكنهُ ان يذكر هو نفسه عنكما شيئاً للملكة ولكنَّهُ يكِل امركما الى امانتيوس حاجبها فيمثّلكما لدى الملكة افدوكسية المعظَّمة وهي الان حبلى . ففي مقابلتكما الثانية لها قولا اننا نرجو من المسيح الهنا الحقيقي ان عضدتِ مسيحيي غزة ان يرزقكِ مولوداً ذكراً . وهذا هو الشهر التاسع لحبلها

ولما بلغا بزنطية قابلا يوحنا الذهبي الفم وقدَّما لهُ احترامهما واخبراه بحالهما وسبب حضورهما فوكَلَ امرهما الى امانتيوس الحاجب فاعلم الملكة بما يقتضي ثم مثَّلهما لديها فقبلتهما بانعطاف وبشاشة ثم اعلمت الملك طالبةً طرد الوثنيين . اما الملك فشقَّ عليه ذلك لوفرة الضرائب التي كان يجبيها منهم . ثم في تمثُّل الاسقفين الثاني لدى الملكة بشَّراها حسب نبوَّة بروكوبيوس الناسك البار بانها مزمعة ان تلد ذكراً فسُرَّت الملكة بسماع ذلك ووعدتهما بقضاء غرضهما تماماً وببناء كنيسة في وسط مدينة غزة . ثم ولدت ابناً هو ثاودوسيوس الصغير فاستدعت الاسقفين فحضرا وبعد ان باركاها اشارت عليهما بأن يكتبا عريضة تتضمَّن كل مطاليبهما ومتى نال الصبي سرَّ المعمودية المقدسة ان يعطيا العريضة لحامله وهو خارج بهِ من الكنيسة . ففيما كانوا خارجين بالطفل من الكنيسة بعد ان نال سرَّ المعمودية خرَّ الاسقفان ساجدين للملك

بشيءٍ حتى اشرفت على الخطر وكانت مرضعتها وهي امرأة مسيحية تذهب في اثناء ذلك الى الكنائس تصلّي وتضرع الى الله . فرآها القديس برفيريوس فعلم منها سبب ضراعتها فقال لها ان بيت المرأة المصابة مملوء بالاصنام فامضي الى اهله واطلبي منهم ان يعاهدوا مَن هو مزمع ان يشفيها على انهم يجرون اوامره . ومتى رفعوا اياديهم الى السماء تاكيداً لعهدهم قولي للمرأة المصابة « ليشفِك يسوع المسيح ابن الله . آمني بهِ تخلصي » . فمضت المرضعة وفعلت وقالت كما امرها فنزل الطفل في الحال حيّاً . فاندهل الحضور كلهم وصرخوا « عظيم هو اله المسيحيين وعظيم هو كاهنهم برفيريوس . ثم بعد ايام قليلة عمّد برفيريوس المرأة وابَويها وزوجها وكثيرين من اهلها وكذلك الطفل داعياً اسمه برفيريوس وكان عدد المتعمّدين اربعة وستين شخصاً

ثم اذ رأى هذا القديس الوثنيين يضطهدون المسيحيين ويجورون عليهم استصحب مطرانه يوحنا وابحر الى القسطنطينية . ولما وصلا الى جزيرة رودس وجدا في مؤخَّرتها متوحداً البارّ بروكوبيوس رجلاً قديساً بعيد النظر لا تفوته معرفة الغيب . فالما رآهما عرفهما خرّ لهما ساجداً . ثم اخبراه بسبب ذهابهما الى العاصمة فقال لهما ان الملكة تقت البطريرك يوحنا الفائق البرّ فلا

برفيريوس يوماً الى قرية في اقتضاء راتب كنائسي فمانعه فلاَّح يوناني مقاوماً واثار هيجاناً فتجمهر اليونان واوسعوا باروخاس ضرباً اليماً حتى الموت. فمرَّ كرنيليوس الشماس واذ رآه بين حي وميت حمله واتى به المدينة فغضب اليونان وهجموا عليه وضربوه بعلَّة كونه ادخل ميتاً الى المدينة. فبلغ الخبر الى القديس برفيريوس فاسرع ركضاً واخذ يلاطف الثائرين ويتوسل اليهم حتى تمكَّن بعد الجهد من اخماد غيظهم وتسكين خواطرهم. ثم اعادوا الكرَّة فتشدَّدت عزائم باروخاس البار الذي كانوا يظنونه ميتاً فتناول قطعة خشب وهجم عليهم فهزمهم مطارداً حتى هيكل مارنا

اما برفيريوس البار فارسل اذ ذاك يُعلم الملك بالحال بواسطة البار يوحنا الذهبي الفم بطريرك الاسكندرية متوسلاً اليه وراجياً اقفال معابد الاصنام وتعطيلها. فارسل الملك مامورا اسمه ايلاريوس مصحوباً باوامر ملوكية فاقفل كل معابد الاوثان ما عدا هيكل مارنا فانه ارتشى بمبلغ وافر من النقود فتركه مفتوحاً فلبث اليونان يقدمون فيه ذبائحهم الفظيعة

ثم حدثت معجزة عظيمة وهي ان امراةً تصعَّبت في ولادتها لاتخاذ الجنين حين الولادة وضعاً غير طبيعي وخروج يده قبل راسه. فحضر اطباءٌ وسحراءُ يونانيون كثيرون ولم ينفعوا المرأة

ذلك راى برفيريوس المغبوط في الحلم الربَّ يقول لهُ سلّم الوديعة التي استودعتكها فاني اريد ان ازوّجك بامراة وضيعة ولكنها حسنة السلوك . فطلبه بُعَيد ذلك يوحنا مطران قيسارية من ابرائيليوس بطريرك اورشليم بعلّة لزومه لحل معضلة كتابية فارسله اليه . فلما جاءه سامهُ في الحال اسقفاً لغزة وهو يبكي خشوعاً ومهابةً . فاخذه اهل غزة وجاؤوا به الى كيسة القديسة ايريني التي كان سلفه ايرينيون قد بناها

وبعد دخوله الى غزة حدث قحطٌ بانحباس المطر فنسب اليونان (١) السبب الى برفيريوس البار زاعمين ان الههم مارنا اوحى اليهم بان برفيريوس الاسقف هو ذو قدم شؤم ونحس . ففرض هو على المسيحيين صلواتٍ ليلية واخذ يصلّي ويرتل معهم متضرّعاً الى الرب من اجل ذلك . فارسل الرب وابلاً هطّالاً جعل كثيرين من اليونان يومنون قائلين المسيح هو اله حقاً ولم يغلب الا هو . وكان عدد الذين آمنوا اذ ذاك ماية وسبعة وعشرين رجلاً واربعة صبيان

واذ كان حكام غزة ايضاً وثنيين كان المسيحيون يكابدون عذاباً واضراراً عظيمة . من ذلك انه أُرسل باروخاس تابع القديس

(١) اي الوثنيون

معلّقًا على الصليب فاخذت اهتف نحوه بصوت اللص قائلاً اذكرني يا رب في ملكوتك. فقال المخلّص للّص انزل من على الصليب وخلص ذاك الطريح كما خلصت انت. فنزل واحتضنني وقبّلني ثم مدّ اليّ يُناهُ وانهضني قائلاً تعال الى المخلص. فنهضت وهرعت اليه ركضًا فرايته ينزل عن الصليب قائلاً لي خذ قطعة الخشب هذه واحتفظ عليها. فاخذتها وحملتها فعاد اليّ رشدي ولم يعد يصيبني ألمٌ

وكان هذا البار متضلعًا في المعرفة والحكمة يُبكم اليهود واليونان (١) والهراطقة في المناظرات ومزيّنًا بكل نوع من الفضيلة. وكان يتعاطى صناعة السكافين يغسل جلودًا ونعالاً ويخيطها. ثم سامهُ ابرائيليوس بطريرك اورشليم قسًّا ولهُ من العمر خمس واربعون سنةً واناط به حفظ عود الصليب الكريم فتمّت لهُ بذلك الرؤيا التي رآها قبل. وكان طعامه الخبز والاخضار يفطر بها بعد غروب الشمس

ثم بعد ذلك بسنةٍ تُوفّي ايرينيون اسقف غزة. فجاءَ اهلها الى يوحنا مطران قيسارية فلسطين يطلبون منه اسقفًا فامر الشعب بصومٍ لهذه الغاية فأُوحي اليهِ بانتخاب برفيريوس. وفي غضون

(١) اي الوثنيين

ملخص

ترجمة حياة القديس برفيريوس اسقُف غزة

ان ابانا برفيريوس القديس اسقف غزة نشأَ من مدينة تسالونيكية على عهد الملكين اركاديوس واونوريوس وكان ابواه غنيَّين شريفي النسب. فترك وطنه وابحر الى مصر واقتبل اسكيم العيشة الرهبانيه في دير السيق فيها. وبعد ان اقام فيه مع رهبانه الابرار خمس سنوات جاءَ الى اورشليم وجاور الاماكن المقدسة. ثم ارسل تابعه مرقس الى تسالونيكية مصحوباً برسائل فجاءَها وبمقتضى تلك الرسائل اقتسم التركة الشائعه بحق الارث بين برفيريوس واخوته ثم باع حصتهُ من العقارات واحضر له ثمنها ثلاثة الاف دينار مع فضة وذهب وثياب بقيمة الف واربعماية دينار فاستلمها برفيريوس البار منهُ ثم اخذ يوزّعها على الفقراء والديارة. وكان برفيريوس قبلُ مصاباً بمرض في الكبد فوجده تابعه بعد عودته صحيحاً معافًى. فسالهُ عن طريقة شفائه فاجابه اني فيما كنت في صلوة اغربنية القيامة المقدسة اصابني المٌ شديد لا يُطاق فصعدت الى مكان الجمجمة المقدسة وانطرحت على الارض وغبت عن الرشد. فرايت وانا على تلك الحالة المخلص

والفروض الكنائسية كلها وعاش سنين قليلة بعد تقديس الكنيسة الكبرى أُصيب بمرض فعمل وصيَّة تقيَّة خصص فيها كثيرين بهبات من ماله. ثم ودَّع كل الشعب المحب المسيح ورقد بسلام محصًى في مصاف القديسين لا محالة وذلك في اليوم الثاني من شهر ديستروس سنة اربعماية وثمانين من تاريخ اهل غزة بعد ان اقام عليها اربعًا وعشرين سنة واحد عشر شهرًا وثمانية ايام متممًا الجهاد الحسن ضد الوثنين الى يوم وفاته. وهو الان في فردوس النعيم يتشفع بنا مع كل القديسين. فليرحمنا بصلواتهم الاله الاب مع ابنه وروحه القدوس له المجد والعزة الى دهر الداهرين امين

ومعنى اسمها باليونانية فوتين(١) وسلّمها سلافثا بعد ان وشّحها بالزيّ القانوني وصرفهما بسلام مستودعاً اياهما الله. فسارت سلافثا سيرةً فاضلة لم يسرْها غيرها من النساء في ذلك العصر. فكانت تصوم كل يوم وبعد الصوم لا تأكل غير خبز وزيتون وحبوب منقوعة واخضارٍ بسيطة غير مطبوخة وتقتصر على شرب الماء ولم تذق الخمر البتة وفي الاعياد كانت تاكل زيتاً وزيتوناً ولم تذق شيئاً من المطبوخات على النار قط. اما في الصوم الاربعيني فكانت كل يومين تاكل مرةً حبوباً او اخضاراً فقط بدون خبزٍ وكانت تطوي كل سبة الفصح (٢) صائمه لا تذوق شيئاً الاّ ماءً فاتراً وذلك يوم الخميس المقدس بعد تناول الاسرار الالهية فقط. وقد اضنت جسدها حتى ضوي وهُزل فكان الناظرون يخالونه شبحاً وصارت قدوةً لكثيرات غيرها غاروا من عيشتها وسيرتها الفاضلة وهي الى الان حيّة لانها وان كانت قد ماتت وانتقلت من العالم فهي حيّة بالمسيح وهي على الدوام معهُ. فلتكن صلواتها معنا. هذا ما كان من امر البنت سلافثا البارة

اما الاسقف برفيريوس الفائق الغبطة فبعدان أَتمّ ترتيب القانون

---

(١) وبالعربية نورانية او نور

(٢) هي المعروفة الان بسبّة الآلام

الابتة ايضاً لانها كانت ضعيفة الجسم منهوكةً كما قلت قبلاً. فلبثتْ هولاء الثلاث مدَّة من الزمان يُوعَظنَ ثم نلنَ سرَّ المعمودية المقدَّس. وبعد ان نزعت الابنة المذكورة الزيَّ المقدَّس استدعاها الاسقف البار وقال لها أتريدين ان ازوّجك برجل زواجاً ناموسيًّا. فان لكِ وقتاً مناسباً للزواج والزواج الطاهر ليس بمحرَّم في كتابنا. فاخذت البنت تبكي عند سماعها كلامه وقالت لهُ أتريد ايها الأَب الصالح بعد ان زوَّجتني بزوج عظيم الشان ان تطلقني منهُ وتزوّجني برجل حقير ذليل. لا تفعلنَّ ذلك يا سيدي البتة. فبُهت الاسقف القديس وقال لها ومن هو الرجل الذي زوَّجتك بهِ. فاجابتهُ هو يسوع المسيح مخلص نفوسنا ختني الحقيقي الذي لا اطلّقهُ الى الابد. فتخشَّع القديس لسماع ذلك واغرورقت عيناه بالدموع ومن عظم خشوعهِ ضمّ الابنة اليهِ وقبَّل رأسها ولم يكن للشهوة حقًّا ادنى تأثير عليهِ وكانت دموعهُ سريعة الانسجام لشدة شفقتهِ وحنوّهِ. ولما رأينا نحن ايضاً النعمة الممنوحة من الروح القدس لهذه الابنة التقية مجَّدنا الله الذي يهب الحكمة والنعمة لمن يصطفيهم. ثمَّ صرف الابنة في ذلك اليوم. وفي تلك الاثناء تُوفّيت العجوز منتقلةً بالرب فاستدعى الاسقف البنت واستحضر الشمَّاسة مارونيدة التقية

الى قيسارية فقاصَّ البعض من المقبوض عليهم واطلق سبيل الاخرين بعد ان جلدهم بالسياط فأَوقع الخوف بالجميع وهكذا اعاد الراحة الى المدينة

وبعد ذلك بايام قليلة تذكر القديس برفيريوس تلك الجارية الصالحة التي اقتبلتنا في بيتها فبعث بي ادعوها اليهِ فاسرعت بالحضور مصحوبةً بامرأَةٍ أُخرى قالت انها خالتها (١) فلما دخلتا على الاسقف البارّ خرَّتا على قدميهِ ساجدتين فاقتبلهما مترحباً كأَبٍ حنون وقال للبنت أَحقًّا تريدين يا بنتي ان تصيري مسيحيةً . فاجابتهُ قائلةً لقد قلت لك يا سيدي اني من عهدٍ بعيد ارغب واتمنى ذلك والان قد احضرت معي خالتي شاهدةً وهي ايضاً ترغب ذلك مثلي . فسُرَّ الاسقف وقال اشتدّي وتقوّي يا ولدي . ثم استدعى اقلوم الكنيسة المقدسة وامرهُ بان يعطيها وجدَّتها كل يوم اربعة ملياريسيات من الفضة (٢) واعطى خالتها قطعة واحدة من النقود . ثم ختمهما بعلامة الصليب وصرفهما موصياً اياهما بأَن تثابرا دائمًا على استماع الصلوات ووعظ الموعوظين وارسل الى بيتها تيموثاوس الكاهن والواعظ الديّن التقي لكي يختم جدَّة

(١) او عمتها فان لفظة θεία باليونانية تحتمل المعنيَين

(٢) جزء من الف من قطعة نقود الذهبية

فأسرعت هي منحدرةً وذهبت فاشترت خبزًا وزيتونًا وجبنًا وحبوبًا منقوعة وخمرًا واحضرت كل ذلك ووضعته امامنا قائلةً تناولوا يا سادتي وغضُّوا الطرف عن فقري . فأَخَذ الاسقف المغبوط الخشوع ثانيةً فاغرورقت عيناه بالدموع وكان عالمًا ايُّ ايمان بالمسيح حارّ سيكون لها ثمَّ نهضنا وتلونا الصلاة الاعتيادية وجلسنا واكلنا اما انا فجبنًا وخمرًا واما الاسقف فلم يذقهما بل اكل خبزًا وحبوبًا منقوعة وماءً فقط . ثم صرفنا الابنة الى جدَّتها ونمنا نحن في الغرفة وكان فصل الصيف وقد سأَلنا الابنة عن اسمها فاجابت ان اسمها سلافثْا ومعناهُ في اليونانية ايريني(١) . ثمَّ نمنا ثاني ليلة ايضًا في غرفة ايريني الحسنة السيرة . وكانت تجيبنا عن اسئلتنا بكل نشاط وهمة . ثم بلغنا ان الاضطراب في المدينة زال وعاد الهدو فمضينا ليلاً راجعين الى الكنيسة المقدسة ولما صعدنا الى دار الاسقفية لم نجد شيئًا ممَّا كان فيها الاَّ باروخاس النقي طريحًا على آخر نسمة بسبب الجراح التي انزلها بهِ الوثنيون الكفرة الذين ليس عندهم خوف الله . ولما بلغ الوالي (وكان اسمهُ اكليرُس) خبر ما جرى وذلك بعد مضي بعض ايام ارسل مستنطقًا مصحوبًا بقوة كافية فقبض على كل مَن دلَّهُ رجال الحكومة عليهِ وانتقل

(١) وفي العربية سلامه

جارية في سن الاربع عشرة سنةً فعرفت الاسقف البار فسجدت راكعةً عند قدميه فسألها الاسقف عن اسمها وعن والديها فاجابتهُ بانها يتيمة من الأَب والأُم وليس لها إلاَّ جدَّة عجوز منهوكة الجسم . وانها هي تشتغل وتعول نفسها وجدَّتها . ثم سألها أَمسيحيةانتِ . فاجابتهُ قائلة اني لست بمسيحية ولكني ارغب من صميم الفؤَاد ان اصير مسيحية ان استحققت ذلك . فاغرورقت عينا الاسقف الحنون بالدموع خشوعاً لدى سماع كلام الجارية وقال لها ان ذلك سهلٌ على اهل غزة الحسني الطوية الاَّ ان عدوَّ الخير يقاوم حسن طويتهم فليضربهُ الرب بكلام فمه . ثم قال لها إيتينا بحصير الى هذه الغرفة لكي نبقى هنا الى ان يزول الهيجان وتهدأَ المدينة ولا تخبري احداً بوجودنا ههنا . فأَكَّدت لنا بأَقسام انها لا تخبر احداً ولا نفس جدَّتها بذلك . ثمَّ انحدرت الى بيتها من حجرة صغيرة واتتنا بحصير وفراش قش ففرشت الحصير ووضعت الفراش فوقهُ ثمَّ خرَّت عند قدميَ الاسقف المغبوط متوسلةً ان ينعطف للتناول من اطعمتها الحقيرة وان يُغضي عن فقر حالتها وعدم استحقاقها لذلك وكان الوقت مساءً . فاراد الاسقف ان يقتدي بالنبي ايليا العظيم فقال للجارية اسرعي يا بنتي وأْتينا بها فيعوّض الله عليكِ على يدي بقوتِ روحي وجسدي .

المقدسة (١) وبين الزعيم سَمْبسيخوس على بعض مزارع فاهان الزعيم الاقلوم وشتمهُ . فلما رأى باروخاس التقي ذلك بادر بالمحاماة عن الاقلوم وشتم الزعيم سَمْبسيخوس فسمع بذلك باقي رجال المجلس فتجمعوا واغاروا على الاقلوم وباروخاس التقي وصعد مع رجال المجلس كثيرون من اهل المدينة ايضاً منتهزين الفرصة للايقاع بالمؤمنين وهكذا من شرار صغير اتَّقدت نار كبيرة وامتدَّت جداً حتى اشرف المسيحيون كلّهم على خطر الهلاك . فتمكن الغيظ من الوثنيين واشتد بهم حتى حملوا النبابيت والسيوف وقتلوا سبعة اشخاص من المسيحيين وجرحوا كثيرين منهم . ولم يكتفوا بذلك بل هجموا قاصدين الراعي نفسهُ وكان بعض الصلحاء قد سبقوا مبادرين واخبروا الاسقف الفائق البر بهياج القوم فاستدعاني لدى سماع ذلك وقال لي لنهربْ ايها الاخ ونختبئْ قليلاً الى ان يعبر غضب الرب فتسلَّقنا الحيطان ماشين عليها وهربنا عن السطوح فكسر الوثنيون ابواب دار الاسقفية ودخلوها فلم يجدوا القديس برفيريوس فنهبوا كل ما كان فيها اما انا وبرفيريوس ففي هربنا عن السطوح وجدنا

(١) الاقلوم وكيل الخرج وهي لفظة يونانية اصلها اقنوم Οἰκονόμος ومعناها المقتصد

دائمًا سواءً كان في الكنيسة او في محل آخر وذلك لانارة الشعب المسيحي وافادته. ثم بعد انقضاء ايام العيد ارفضَّ الجمع راحلاً كلٌّ منهم الى بلدتهِ. اما برفيريوس البار فامر بعد تدشين الكنيسة وتقديسها بان يُعطَى كل غريبٍ اتى المدينة نفقة يومٍ واحد وكل فقير غريباً كان ام وطنيًّا كل يوم ستة فلوس وذلك عدا ما كان يعطيه هو من يده لقاصديه من ثياب ونقود فضَّةً وذهبًا مانحًا كلَّ واحد بحسب استحقاقه ولم يكن يصرف احد سائليه خائبًا من عطاياه. وكان في ايام صوم الفصح المقدس يمنح كلَّ فقير عشرة فلوس على مدة اربعين يوماً وقد فرض في وصيَّته التقوية آمرًا بان تُوزَّع هذه الفلوس العشرة ولا بدَّ في الاربعين يوماً ووقف في وصيتهِ عن رضًى واختيار مخصصاً بهذا التوزيع ايراد ضيعةٍ وآمرًا باحالة ذلك الايراد الى كنيسة قيسارية المقدسة ان لم تُوزَّع العشرة الفلوس منه كل عام. وقد جرى ذلك فيما بعد

وكان الوثنيون كلما رأَوا الديانة المسيحية تنمو وتزداد يزدادون حنقًا وغيظًا و يتوقعون الفُرَص للايقاع بالمسيحيين ولاسيَّما براعيهم الاسقف البار. فوقع مرةً اختلاف بين اقلوم الكنيسة

احد الفصح احتفالاً عظيماً باهراً لم يضنَّ عليه بالنفقة بل جمع كلَّ الرهبان فكانوا نحو الالف عدداً وكثيرين من الاكليريكيين والعلمانيين الاتقياء والاساقفة الابرار وقضى كل ايام الفصح بسرور وبهجة وكانت اجواق المرتلين تطرب الاسماع باناشيد ملائكية لا في اثناء اقامة الصلوات في الكنيسة فقط بل في ساعات الاكل ايضاً فلم تكن المائدة حسيَّة فقط بل روحية ايضاً. فكان بعد الطعام يُرتَّل مزمور وبعد الشراب تسبحةٌ. اما عبدة الاوثان فكانوا يرون ما يجري وتذوب قلوبهم حسداً وغيظاً. فان الناس كانوا يحضرون من كل صوبٍ وفجٍّ ليروا جمال الكنيسة المقدسة المذكورة وعظمتها وقد قيل انها اعظم من كل الكنائس المعاصرة لها. ومن ثمَّ كان بعض المومنين قد تذمَّروا على الاسقف الفائق البر حينما اختطَّها ووضع حجر اساسها مدَّعين عليه انه كبرَّها مع ان المدينة ليس فيها الاَّ قليلون من المسيحيين. اما هو فاجابهم لا يكن ايمانكم قليلاً فاني واثق بربنا يسوع المسيح ابن الله ان ينمي رعيته ويكثرها ويجعلها تزيد عن وسع هذه الكنيسة بحيث لا يمكنها ان تسع جماهير المسيحيين فيها فان الدين المسيحي ليس هو عملاً بشرياً يظهر حيناً ثمَّ ينقضي ويزول بل هو عمل الهي متهيّئ للنموّ والزيادة. وكان يقول مثل هذه العبارات

البر. فلما رأى رفقاؤها ما حلَّ بها ارتاعوا واخذوا يتحصونها لعل فيها روحاً بعد ويهمسون في اذنيها فلم تكن تسمع ولا تجيب. وبعد مضي بعض ساعات عليها وهي على هذه الحالة اسلمت الروح ذاهبةً الى الظلمة التي اثرتها لظنها بها نوراً حسب قول الكتاب «ويل للجاعلين الحلو مرًّا والمرَّ حلواً الجاعلين الظلمة نوراً والنور ظلمةً (١). فأذن الاسقف الباربان تُشيَّع جثتها وتُدفَن شنقةً منهُ على الطبيعة البشرية لانهُ كان شديد الرأفة والحنو. فتعجب من هذا الحادث كل مَن سمع به سواءً كان من المؤمنين ام من الغرباء. اما الرجلان والنساء الذين كانوا معها وكذلك الذين كانت قد افسدت عقائدهم فقد اسرعوا وانطرحوا على قدمي الاسقف الفائق الغبطة قائلين لقد ضللنا واعلنوا توبتهم فجعلهم كلهم يلعنون ماني زعيم بدعتهم وبعد ان وعظهم اياماً عديدة اقتبلهم في الكيسة الجامعة المقدسة وبسببهم اهتدى كثيرون من الغرباء تائبين

اما بناء الكنيسة الكبرى المقدسة فقد تمَّ في خمس سنوات فدُعيت بالكنيسة الافدوكسية نسبةً الى الملكة افدوكسية الممتازة بحب الله. فاحتفل برفيريوس الفائق البر بتدشينها يوم

---

(١) اش ٥ : ٢٠

كل الاقوال من اعتراضات واجوبة وانا والاخ باروخاس نذكره ونعيد عليهِ الاملاءَ . ولم اشأ ان اضمّن هذا المؤلَّف تفصيلات تلك المناظرة لانها طويلة مسهبة وانا اتعمَّد الاختصار فيهِ فقد افرزت لتلك المناظرة مؤلَّفاً شرحت فيهِ مفصَّلاتها لمَن اراد الاطلاع على الحكمة التي وهبها الله للاسقف الفائق البر والخرافات العجائزية التي هذرت بها جوليا المشعوذة بل نفثتها كسمّ ناقع وقد حلَّ بها القصاص الالهي على ما تستحق . فانها بعد ان اكثرت من كلام الشعوذة ساعات عديدة وافرطت كعادتها بالتجديف على الله رب الخلائق كلها ثارت الغيرة الالهيّة بالاسقف القديس لرؤيتهِ اله كل البرايا المنظورة والغير المنظورة مجدَّفاً عليهِ بفم امرأةٍ مستعبَدة من ابليس تتَّبع ارادتهُ فقضى عليها قائلاً يضرب لسانك الرب الاله صانع الكل الغير الهيولي وحدهُ الذي لا بدءَ ولا نهاية لهُ المجدَّد في ثلاثة اقانيم ويبكمه حتى لا ينطق بكلام تجديف بعد . وفي حال صدور هذا القضاء تبعهُ القصاص . فان جوليا ابتدأت على الفور ترتجف وتغيَّرت هيئتها فغابت عن الرشد ولبثت حيناً صامتةً لا تبس ببنت شفةٍ ولا تتحرَّك وعيناها مفتوحتان شاخصتان الى الاسقف الفائق

موجزة كالطلاسم لايضاح معانيهِ

خلّي عنكِ هذا المذهب الرديء مبتعدةً عنهُ لانهُ مذهب شيطاني . فاجابتهُ قل واسمع فاما انك تُقنع او تُقنَع . فقال لها استعدّي الى الغد واحضري هنا . فودّعتهُ وانصرفت . اما هو فبعد ان صلّى وتضرّع الى المسيح كثيراً طالبًا ان يبلي الشيطان بالخزي اخذ يستعدّ الى الغد واستدعى بعض الاكليريكيين والعلمانيين الاتقياء لحضور المناظرة والجدال بينه وبين المراة . وفي الغد حضرت المرأة ومعها رجلان واربع نساء وكانوا احدث منها سنًّا واكثر جمالاً ولكنهم جميعاً صفر اللون وكانت هي طاعنةً في السن كانوا كلهم ولاسيما جوليا بركمون على العلوم العالمية التي كانوا متضلعين بها ومعتضدين بقوّتها وكانت تظهر عليهم امارات الدعة والوضاعة والاعتدال في اللباس والدماثة في الاخلاق فكانوا بالاحرى في الظاهر خرافًا وفي الباطن ذئابًا خاطفة وحيوانات مسمّة يتكلمون ويسلكون دائمًا بالرياء والغش . فلما حضروا وأُذن لهم بالجلوس افتتحوا البحث . فاخذ الاسقف البار الانجيل المقدس بيده ورسم على فمهِ علامة الصليب الكريم وسألها ان تشرح لهُ عقائد مذهبها فابتدأت بذلك . وكان الشماس كرنيليوس المتقدم ذكرهُ خبيراً بعلامات انُّوموس (١) فاخذ عن اذن الاسقف الفائق الغبطة يكتب

(١) كان انُّوموس عند قدماء اليونان ساحرًا شهيرًا يستعمل علامات

مسامع القرّاء بكلام فارغ اوشعوذات غريبة. و بالاجمال اقول لنقّوا بدعتهم بخلط معتقدات فيلستيون السيكينيكوس (١) وايسيودوس وغيرهما من المدعوين فلاسفة ومزجها بعقائد المسيحيين. فانهُ كما ان المصوّر يمزج الوانًا مختلفة فيشخص صورة انسان او وحش او شيءٍ اخر فيغش الناظرين فتراءى اعماله اما للحمق وسخيفي العقل فاشخاصًا حقيقية واما لاصحاب العقول الرصينة فخيالات واوهامًا واختراعات بشرية هكذا مانى وتبّاعهُ انتحلوا ما وافقهم من مذاهب متنوعة فلفّقوا مذهبهم بل بالاحرى استخلصوا السموم من دبّابات مختلفة ومزجوها معًا فجعلوها سمًّا زعافًا يقتل النفوس البشرية. اما المرأة المتقدم ذكرها ففي مدة اقامتها في غزة كوباء وافد تمكنت بخداع تعليمها الغاش من غواية بعض المسيحيين من اهاليها فبلغ خبرها بعد بعض ايام الى القديس برفيريوس فاستدعاها وسالها من هي ومن اين اتت وما هو اعتقادها الديني. فاخبرته من اي وطن هي واقرّت بانها مانيّة المذهب. وكان بعض المسيحيين الحسني العبادة حاضرين فاحتدموا غيظًا الّا ان الاسقف البار هدّأهم طالبًا اليهم ان لا يغاظوا بل يحلموا وينصحوها اولاً وثانيًا متبعين قول الرسول الطاهر. ثم قال للمرأة

(١) اي الخيامي نسبةً الى لفظة σκηνή اليونانية

ويجرُّونهُ الى ان يصلوا بهِ الى باحة الهيكل فيضعونهُ ثمَّ يعودون فينقلون غيره هكذا الى ان نقلوها كلها. فهذا ما كان من امر الشغل في البناء

وقد حضرت في هذه الاثناء امرأَة من انطاكية اسمها يوليا (او جوليا) من تبَّاع بدعةَ مانى الوخيمة واذ علمت بكون بعض المسيحيين حديثي الاستنارة لم يثبتوا بعد في الايمان المقدس تداخلت بهم وخدعتهم بسحر تعليمها بل بالاكثر بقوة السخاء وتوزيع المال. ولم يكن في امكان مبتدع هذه الهرطقة الكفرية غواية البعض الاَّ بالهبات المالية. فان تعليمه هو عند ارباب العقول الرصينة فاسد مملوءٌ تجديفاً وعقائد منكَرة وخرافات عجائزية يمكنها ان تغوي نسيوات ورجالاً يشبهون الصبيان بسخافة العقول والضمائر. وقد لفَّقوا بدعتهم الشنيعة من بدَع ومذاهب يونانية مختلفة عن مكرٍ ودهاءٍ قاصدين اجتذاب الكل اليها. فهم يعتقدون ارضاءً لليونان بوجود آلهــة كثيرة وبالوجود الاتفاقي والقدر وبالتنجيم بحيث يتسنَّى لهم ارتكاب الجرائم والخطايا بحجة ان الخطية مقدَّرة على فاعليها لا تأتَّى عن مجرَّد ارادتهم. ويعترفون بالمسيح معتقدين انه انما تجسد بالخيال فهم مسيحيون بالخيال والوهم فقط. اما باقي عقائدهم المضحكة والمستهجَنة فادع الكلام عنها لئلاَّ أُثقّل على

من البئر الرجل الذي نزل اليها لانقاذ الاولاد اكّد لنا باقسام انه منذ ابتدا نشلهم منها وهم في القفّة راى حولهم شعاع نور كلمع البرق لم يفارقهم حتى بلغوا فم البئر . فشمل المسيحيين في ذلك اليوم سرور عظيم واما الوثنيون فشملهم حزن وكآبة وكان لهم هذا الحادث حجر عثرة

واما بناء الكنيسة فكان يتقدم يوماً عن يوم اذ كان الجميع يشتغلون فيهِ برغبةٍ ونشاط ولم تكن الاجرة تضيع على احد بل كان الاسقف البار يبجح الاجور للمشتغلين مستنهضاً همتهم ويقول انهُ من الحق والواجب ان لا تنال شيئاً من البناء كله اللعنة بل البركة . وفي السنة التالية ارسلت الملكة افدوكسية الاعمدة التي كانت قد وعدت بها وهي اثنان واربعون عموداً كارستياً (١) كلها كبيرة وبديعة فوضعت في بناء الكنيسة المقدسة تتلألأ كقطع من الزمرّد البهي اللامع . ولما وصلت الأعمدة الى مينا غزة ظهرت رغبة الشعب المسيحي ونشاطهُ في نقلها كعادتهِ فهرع الجميع رجالاً ونساءً واولاداً وشيوخاً الى الساحل في حال وصول الخبر اليهم وقد شدّدت عزائمهم الحمية الدينية واحضروا مركبات نقلٍ وصاروا يضعون عليها كل عمود بمفردهِ

(١) نسبةً الى مدينة كارستوس من شبه جزيره ابيا في بلاد اليونان

الى الرجل الذي كان في قاع البئر ربطها جيّداً ووضع فيها الاولاد واوصاهم بان يغمضوا اعينهم الى ان يصلوا الى فوق وبان يردّدوا هذه العبارة يا يسوع المسيح خلصنا. ثم صرخ آمراً بان يسحبوا الحبل بقوة وثبات. وفيما يسحبونهم كانوا يتلون تسبحة الثلاثة الفتية وهي «مبارك انت يارب اله ابائنا» الخ ولما وصلوا الى فوق وراهم الاسقف القديس (وكان واقفاً عند فم البئر قابضاً بيده على الحبل) امتلأ قلبه فرحاً وعيونه دموع سرورٍ وصرخ قائلاً «باركوا الرب، يا جميع اعمال الرب وسبحوه». ثم اخرجوهم من القفّة وفحصوهم لئلاّ يكون قد أُصيب عضوٌ من اجسادهم بصدعٍ او تهشيم فلم يُرَ فيهم شيءٌ من ذلك بل راينا امراً غريباً عجيباً هو وجود علامات صلبان على اجسادهم كأنّها نُقشت عليها بغزّ ابرة فالواحد كانت علامة الصليب على جبينه والاخر على يده اليمنى بالقرب من الاصابع والثالث على كتفه اليمنى. وكانت الصلبان محكمة الرسم لا عوجاً ولا منحنية بل على الضبط قياساً واحداً ممّا يدلُّ على كونها علامات الهية. وقد وُسموا بها بدون الم ولا سيلان دم كما لو كانت نقشاً بحنّاء وقد بقيت ظاهرة عليهم مدة طويلة من الزمن حتى براها كل الناس ويتعجبوا. فان كثيرين من غرباء الجنس ايضاً راوا ذلك فآمنوا. ولما طلع

وذهبوا ليشربوا منها. ولما وصلوا اليها اطلّوا عليها مستندين على الخشبة التي كانت على فمها جرياً على عادة الاولاد فانكسرت الخشبة فسقط الاولاد الثلاثة في البئر وكان بعض اناس واقفين هناك. فلما رأوا ما كان مضوا واخبروا الشعب فاضطربوا كلهم جداً وهرعوا متراكضين الى البئر. وبلغ الخبر الى برفيريوس الفائق البر فاسرع هو ايضاً الى مكان الحادث وامر الجميع بالهدو واخذ يصلّي ويطلب الى الله بدموع غزيرة حارّة ان يحفظ الاولاد احياء سالمين غير مهشّمين دفعاً لشماتة الوثنيين خاصة لئلاّ يقولوا اين الههم الذي اتكلوا عليه ولبث نحو ساعة واحدة مكبّاً على الارض ثم نهض واذن بانزال رجل الى البئر يُدلّى اليها بحبال من سلب لكي يفتقد الاولاد فان الجمهور كان يصيح منادياً الاولاد ولم يكن احد يجيبهُ من ضمن البئر. فلما أُنزل الرجل الى البئر وجد الاولاد الثلاثة جالسين فيها على حجر كبير سالمين يتحادثون فذُهل متعجباً ومجّد الله وصرخ من اسفل البئر قائلاً مجدوا الله فان الاولاد الثلاثة احياء سالمون. فلما سمع الاسقف البار والشعب ذلك فرحوا ودلّوا باذنهِ قفّة كبيرة لكي يوضع فيها الاولاد الثلاثة لانهم كانوا صغاراً اعمار كل واحد منهم نحو ست او سبع سنوات. فلما وصلت القفة

مكان الكنيسة طبق الرسم المرسل من الملكة افدوكسية الشديدة الحب لله. ثمَّ صلَّى الاسقف وركع واذن للشعب بالحفر. فاخذوا كلهم يحفرون لا يختلفون قلباً ولا يتفاوتون همةً ونشاطاً وهم يهتفون قائلين لقد غلب المسيح. ولم يكن فرق في الشغل بين رجل او امراة او شيخ او ولد فان الرغبة فيه شدَّدت عزائم الجميع على السواء. وكان البعض منهم يحفرون والبعض ينقلون التراب والردم ومن ثَمَّ تمَّ حفر المكان كله وتنظيفه من الاتربة والردم في ايام قليلة. وكان قد أُعدَّ ما يلزم للبناء من حجارة ضخمة عظيمة قُطعت من جبل شرقي المدينة يُدعَى الدبوماتوس وموادَّ غيرها. فجمع الاسقف القديس الشعب المسيحي ثانيةً وبعد تلاوة صلوات وتراتيل كثيرة في المكان تشمَّر وابتدأ هو اولاً يحمل احجاراً ويضعها في الاساس فتبعه في ذلك الاكليريكيون محبو الله وكل العلمانيين فرحين مسرورين ينشدون ويرتلون بصوتٍ عالٍ جدًّا سُمع الى بُعد عدة اميال عن المدينة

وقد حدثت معجزة عظيمة في ذلك النهار. فانه كان داخل جدران ساحة ذلك الهيكل آبار وكانت احداها وهي الان غربيَّ الكنيسة المقدسة عميقةً. فعطش ثلاثة من الاولاد

يكونون متأهّبين صباحاً ففعلوا كامره. فلما اجتمع الشعب في كنيسة القديسة ايريني المقدسة حاملاً ما ذكر من العُدد امرهم جميعاً بان يذهبوا الى هيكل مارنا الهدوء مرتلين كلُّهم معاً وكان هو يتبعهم حاملاً الانجيل المقدس ومحتفًّا بالاكليرس الشريف ممثلاً بذلك السيد المسيح محتفًّا بتلاميذه الاطهار. وكان باروخاس الدائم الذكر يتقدم الشعب حاملاً علامة الصليب الكريم وعلى جانبي الشعب السائر العساكر التي تخلّفت في المدينة لاجل حفظ الهدو والراحة. وكان الشعب يرتل وهو سائر شيئاً من المزامير وفي نهاية كل فصلٍ منه يرتل الليلويا. وقد رتلوا المزمور القائل « هلم نبتهج بالرب ونهلل لله مخلصنا نسبق الى وجهه بالاعتراف وبالزبور نهلل له لانه اله عظيم ربٌّ وملك كبير على كل الارض. لان بيده اقاصي الارض وقمم الجبال الشامخة هي له. لان البحر له وهو قد صنعه ويداه جبلتا اليابسة. هلمَّ نسجد ونركع له ونبكِ امام الرب الذي خلقنا لانه الهنا ونحن شعب رعيته واغنام يده ». ورتّلوا مزمورات غير هذا حتى بلغوا هيكل مارنا وكان برفيريوس القديس قد عيّن لبناء الكنيسة مهندساً انطاكيَّ الوطن اسمه روفونس رجلاً مؤمناً تقيًّا ماهراً في صناعته وعلى يده تمَّ البناء كله. فاخذ روفونس قطعة جبسين وخطّط

البار تطلب بها منه بعد اهداء السلام الدعاء لها وللمكين زوجها وابنها ومن ضمن الرسائل على ورقة خاصة رسم الكنيسة المقدسة مستدير الشكل كما تُرَى الان بمنّهِ تعالى وهي تأمر ببناء الكنيسة طبق الرسم المذكور. فسُرَّ الاسقف القديس بتلاوة الرسائل ورؤية الرسم عالمًا بان ذلك ايضاً قد جرى بحسب ايعاز الهي وتذكَّر قول الكتاب «قلب الملك بيد الله». وفي الرسائل المذكورة تقول الملكة انها عازمة على ارسال اعمده ثمينة وبلاط رخام. فلمَّا تمَّ تنظيف المكان بازالة الرماد وكل الرجاسات امر الاسقف البار بان تُجمَع قطع رخام هيكل مارنا وكان عبَدَة الاوثان يعتبرونهُ مقدَّساً لا يحلُّ لاحدٍ ولا سيَّما النساء وطأهُ وتُبلَّط بهِ ساحةُ الكنيسة الخارجية لكي يطأه لا الرجال فقط بل النساء والكلاب والخنازير وكل دنيء الحيوانات ايضاً. فاغاظ هذا الامر عبَدَة الاوثان اكثر من حرق الهيكل وكثيرون منهم ولاسيَّما النساء يطأون الرخام المذكور حتى الان

ثم بعد قليل من الزمن فرض الاسقف المحب لله صوم يومٍ على كل الشعب وبعد الحل من الفروض السحرية امر بان يحمل كلٌّ من احب المسيح من الرجال فأساً او معولاً او ما اشبه ذلك من العُدد وكان قد نبَّه عليهم بذلك ليلة ذاك اليوم بحيث

اخذ برفيريوس الاسقف المغبوط والاكليريكيون الاطهار الذين معهُ والشعب المسيحي التقي يفتكرون ببناء كنيسة مقدسه في مكان الهيكل المحروق كما أُوحي اليهِ وهو في مدينة القسطنطينية وقد قبض النقود لبنائها من الملكة افدوكسية الشديدة المحبة لله. فاطلق سبيل الحكام والشعب المسيحي ولم يترك في المدينة الاَّ فريقاً في اولئك الاعوان وذلك ليس لخوفه فقط من ان يطرأَ حادثٌ ما بعد رحيلهم بل بقصد المساعدة في جمع المواد اللازمة لبناء الكنيسة المقدسة المذكورة ايضاً. فاشار البعض ببنائها في مكان الهيكل المحروق وكان مستديراً محاطاً بقنطرتين متداخلتين وفي وسطهِ جرن شامخ مرتفع وكان فيهِ اشياء كثيرة تليق بالاصنام وتلايم ما كان عبَدَة الاوثان يجرونهُ من الفظائع والمحرَّمات. ففي هذا المكان كان البعض يرتأُون بناء الكنيسة المقدسة. واخرون كانوا يناقضون ذلك ويرتأون من الواجب نزع ذكر هذا المكان ومحوهُ اصالةً فاقتنع الكل بكلامهم مستصوبين رايهم. اما الاسقف البار فقال لندع هذا الامر ايضاً لمشيئة الله. وفيما كان يُنظَّف المكان جاء من بزنطية احد حاشية الماجسطرس (١) حاملاً رسائل من الملكة افدوكسية الخالدة الذكر الى الاسقف

(١) الحاكم او الوزير

حينئذٍ كانوا يطلبونهُ و يرجعون و يدَّلجون الى الله» . وقال عن المتشامخين الجامحين المبتعدين عن الله «بحكمَة ولجام تكبح فكوك الذين لا يدنون اليك» . فمن لازم الضرورة يا اولادي اتخاذ وسائل الارهاب والتهديد والتأديب في تذكير البشر وتنبيههم . فان الكتاب قد قال ايضاً «صالح لي انك اذللتني لكي اتعلم احكامك» . فهذا ما اقولهُ عن الذين يريدون الدخول في ديانتنا المقدسة . ان دخلوا فيها مرتابين فيمكنهم باذن المسيح مع كرور الزمان ان يوقنوا مقتنعين بصحتها . وان ثبت لدى العيان انهم لم يزالوا غير اصحَّاء الايمان لاعتيادهم على الشرّ وتأصُّلهم في فساد العقيدة فيمكن خَلفهم ان يخلص لمباشرته الخير . وبعد ان قال برفيريوس البار ذلك واقنع الاخوة اقبل كل الذين ارادوا الاستنارة ووعظهم اياماً كثيرة لا قبل المعمودية فقط بل بعدها ايضاً . فانهُ كان يواصل تعليم الشعب غير متبع في كلامه قواعد علم البيان بقصد الافتخار والتباهي بل يعلّمهُ بلهجةٍ سادجة بسيطة ويحلُّ كل المشاكل من الكتاب المقدس . فانضمَّ الى رعية المسيح في تلك السنة نحو ثلثمائة نفس ومن ذلك الحين صار المسيحيون يزدادون كل عام عدداً وتتحسن شؤونهم

ولما احترق هيكل مارنا عن آخره وساد الهدو في المدينة

فاقبل كثيرون الى الديانة الصحيحة المقدسة البعض عن خوفٍ والبعض عن هدًى واقتناع بضلالهم السابق . ففتحت الكنيسة ابوابها لهم كلهم متذكرةً قول الكتاب الالهي « مَنْ قرَعَ يفتَحَ لهُ ومن طلب وجد» . وقولهُ ايضاً « سواءً كان بعلَّة ام بحق ينادَى بالمسيح» . وكان بعض المؤمنين يقولون للاسقف انهُ لا يجب ان يقبل المقبلين عن خوف بل المقبلين بحرية ضمير ونية صالحة . اما هو فقال لهم لا تُنكَر على الناس الفضائل الناجمة عن حوادث عرضية . فكما ان الانسان الذي لهُ عبد ان حقَّهُ العبد ينصحهُ اولاً بأَن يرتجع عن الغيّ والعقوق ويستمرَّ على الطاعة ويخدمهُ بحسن طوية ثم ان رآهُ مصرًّا غير مقتنع بالنصيحة يضطرُّ الى اتخاذ وسائِل أُخرى معهُ افعل من النصيحة كالتهديد والضرب والقيود وما اشبه ذلك قاصداً نجاتهُ من الهلاك وتعليمهُ عمل ما يجب هكذا ينبغي ان نعتبر ان الله الحليم يطيل اناءتهُ علينا اذا اخطأْنا مخلّين بواجب الشكر لهُ فكثيراً ما ينصحنا وينذرنا بالكتب الشريفة والرجال القديسين فان لم نرتدع يتخذ وسائل الارهاب والتأْديب رغبةً منهُ في خلاصنا بكل ذريعة حباً بعدم ابتعادنا عنهُ وذلك لعظم صلاحه وشفقته السيدية وهكذا يدعونا جبراً الى معرفة وعمل ما يجب علينا وقد قال الكتاب الالهي . « لما قتلهم

وصار يضرب كل مَن رآه حاملاً شيئاً من الاسلاب بعنفٍ وعدم شفقة وذلك بحجة قصده حفظ النظام. فاحترقت الحيطان في اثناء ذلك واخذت تتقوّض فطارت قطعة خشب محترقة وسقطت فجأةً على الضابط (التريبون) المذكور فاماتته ميتةً مضاعفة فانها شجّت راسه وحرقت بدنه بالنار. فلما علم المومنون من العساكر والشعب المحب المسيح بما كان من امره وبانه كان يحنّ على الاصنام مجدوا الله وتلوا المزمور القائل «لماذا تفتخر بالشرّ ايها القوي بالاثم. اليوم كلّه نطق لسانك بالظلم. مثل الموسى المسنونة صنعت الغشّ. احببت الشرّ افضل من الخير والظلم افضل من التكلم بالعدل. احببت كل كلام مفرّقٍ ولسانٍ غاش. لذلك يهدمك الله الى الانقضاء. يقتلعك وينقلك من خبائك وكذلك من ارض الاحياء» الخ

واستمرّ هذا المعبد يتأجج بالنار اياماً كثيرة. واذ كان في البيوت المتازة ايضاً كثيرٌ من الاصنام جرى تفتيشها وما وجد فيها من الاصنام حُرِق بعضه بالنار وطُرح البعض الآخر في اماكن الاوخام والاقذار. وقد وُجدت كتب مملوءة شعوذةً وخرافات كان يعتبرها عبدة الاوثان مقدّسة ومنها كانوا يتعلمون اجراء فروض دياناتهم وفظائعهم فاصاب كتبهم هذه ما اصاب آلهتهم

ومجّد الله تعالى . ثم استحضر ثلاث قطع من النقود واعطاها للمرأة . فلما رأى الولد النقود في يد امه صاح قائلاً باللغة السريانية لاتاخذيها يا امّاه فلا تبيعي انت ايضاً موهبة الله بذهب . فعجبنا من ذلك ايضاً اما الام فارجعت النقود الى الاسقف قائلة ادعُ في صلاتك لي ولابني واستودعنا الله . وهكذا سرّحهم الاسقف البار بسلام

وفي الصباح باكراً جمع الاكليريكيين الحسني العبادة والشعب المسيحي التقي وكذلك كينيجيوس الهمام الفاضل والروساء واخبرهم بما نطق به الولد من الكلام بشان هيكل مارنا فتعجبوا من سماع ذلك منذهلين واجمع رايهم على حرق الهيكل قائلين ليُحرَق طبقاً لقول الولد . ثم استحضروا القطران والكبريت وشحم الخنزير وخلطوا الثلاثة وطلوا بها ابواب الهيكل الداخلي ثم صلّوا واعطوها النار فاشتعل الهيكل في الحال واحترق . وكان العساكر والغرباء الحاضرون هناك يختطفون من النار ما امكنهم اختطافه من ذهب او فضة او حديد او رصاص . وكان واقفاً هناك رجل من العساكر في رتبة تربيون (١) يلاحظ حرق الهيكل وكان في الظاهر مسيحياً وفي الباطن وثنياً فاذ رأى حرق الهيكل واختطاف العساكر موجوداته تميّز غيظاً

(١) امير لواء

الكنيسة عن هيكل مارنا. فصمت الولد ولم يجب بشيءٍ. فامر الاسقف الفائق البر باحضار سوط وتمديد الولد على الارض بقصد تخويفه. ثم صاح به حامل السوط قائلاً قل لي مَن علَّمك ما قلت لئلاَّ تُضرَب بهذا السوط. فلزم الولد الصمت ولم ينبث ببنت شفةٍ. فاخذنا نحن الواقفين حوله ايضاً نتهدَّده ونحثُّه على الاقرار. فاستمرّ صامتاً لا يهتزُّ من التهديد. فانكفُّوا اخيراً عن تهديده ففتح فاه وقال باللغة اليونانية احرقوا الهيكل الداخلي كله حتى الحضيض فلقد جرت فيه فظائع كثيرة لا سيَّما تضحية البشر وليكن حرقه بالطريقة الاتية. جيئُوا بقطران وكبريت وشحم خنزير واخلطوا الموادَّ الثلاث واطلوا بها ابوابه النحاسية واعطوها النار فيحترق الهيكل. وليس في الامكان عمل شيءٍ غير هذا. واما الهيكل الخارجيّ وما يحيط بهِ فدعوهما. وبعد حرق الهيكل الداخلي طهروا المكان وابنوا فيه كنيسة مقدسة وانا اناشدكم الله ان لا تعملوا بخلاف ما قلت فلست انا المتكلم بذلك بل المسيح الساكن فيَّ. فتعجب الاسقف الفائق البر وكل الذين كانوا معه من مجاهرة الولد وفصاحة كلامه. ثم استدعى امَّه وسالها هل تعرف هي ام ابنها اللغة اليونانية. فاكَّدت له بأيمانٍ انها لا تعرف هي ولا ابنها اللغة اليونانية. فتعجب عند سماع ذلك

الخارجي وما يحيط به فدعوهما . وبعد حرق الهيكل الداخلي طهروا المكان وابنوا فيه كنيسة مقدسة » . وقال ايضاً « اناشدكم الله ان لا تعملوا بخلاف ما قلت فاني لست انا المتكلم بذلك بل المسيح الذي فيَّ » . وقد فاه بهذا الكلام باللغة السريانيَّة . فبُهت الكل متعجبين ومجَّدوا الله . ولما بلغ خبر هذة المعجزة مسامع الاسقف البار رفع يديهِ الى السماء ومجَّد الله قائلاً . المجد لك ايها الاب القدوس لانك ما اخفيته عن الحكماء وذوي الفهم اعلنته للاطفال . ثم امر بحضور الولد وامه الى دار الاسقفية بعد الحل من الصلوة والانصراف من الكنيسة ففصل الولد عن امه وقال لها استحلفكِ بابن الله الحي ان تقولي لي ابتلقينٍ منكِ ام من احدٍ غيركِ عن علمٍ منكِ قال ابنكِ ما قاله عن هيكل مارنا . فقالت المرأة اني اسلم نفسي الى منبر المسيح الرهيب العائل ان كان لي سابق علم بما قاله ابني في هذا النهار . فخذ الولد ان تحسَّن لديك واخصه متهدداً اياه . فان كان قد قال ما قال بتلقين انسان غيره فمن الخوف يقرُّ بذلك والاَّ فمن الواضح انه قال ذلك بالهام من الروح القدس . فلما سمع الاسقف كلام المرأة اثنى عليها وامر بانفصالها عن الولد برهةً من الزمان واحضاره . فلما وقف الولد في حضرته قال له الاسقف مَن لقَّنك ما قلت في

يكن احد من اهل المدينة المؤمنين ياخذ شيئاً الاَّ العساكر والغرباء الموجودين فيها. وكان يطوف مع المسيحيين العثمانيين رجال انقياء من الاكليرس والاسقف برفيريوس البارُّ نفسه ويمنعونهم من نهب شيءٍ واغتنامه

وقد قضوا عشرة ايام في هدم هياكل الاصنام المذكورة وبعدها اخذوا يفتكرون بامر هيكل مارنا ماذا يصنعون به. فارتأى البعض دكَّهُ بالهدم والبعض حرقه بالنار والبعض تنظيفه من الاصنام وتطهيره وجعله كنيسة لله. فطال بهم الافتكار بدون ان يقرَّ رأيهم على نتيجة. فأمر الاسقف القديس اخيراً الشعب بالصوم والابتهال الى الله تعالى لكي يعلن لهم كيف يتصرفون بأمر الهيكل المذكور. فصاموا ذلك اليوم وتضرَّعوا الى الله مبتهلين من اجل ذلك. وفي المساء عقدوا اجتماعاً مقدَّساً وُجد فيه ولد مع امه وكان عمره نحو سبع سنوات فصرخ على حين غفلة قائلاً « احرقوا الهيكل الداخلي واستأصلوه من الاساس فلقد جرت فيه فظائع كثيرة لا سيَّما تضحية البشر. وليكن حرقه بالطريقة الاتية. جيئوا بقطران وكبريت وشحم خنزير واخلطوا المواد الثلث واطلوا بها ابوابه النحاسية واعطوها النار فيحترق كلَّه. وليس في الامكان عمل شيءٍ غير هذا. واما الهيكل

هيا كل المعمور. وكانت اصنام كثيرة في البيوت والقرى لايمكن احصاؤها على الضبط. فان شياطينها رأوا لين عريكة اهل غزة وسهولة انقيادهم فانتفعوا من حسن نيتهم وملأوا مدينتهم وضواحيها ضلالاً. وكان اهلها يحتملون ذلك عن شدة بساطتهم وطيب قلوبهم فكانوا متى انتقلوا الى الديانة المقدسة يصيرون مسيحيين أتقياء ذوي غيرة حارة. هذا ما اقول عن اهل غزة. اما الجنود فقد هجمت مع مسيحيي المدينة وساحلها على معابد الاصنام قاصدين الابتداء بهدم هيكل مارنا واعدام ما فيه من الاصنام فصدوا مرتدين عنه. لان كهنته سمعوا بما يكون فسدوا منذ الفجر ابواب الهيكل الداخلي بحجارة كبيرة ووصدوها وانزلوا الى مخابئ الهيكل المدعوة احراماً (١) كل اوانيه الثمينة وكل شارات آلهتهم وخبأوها فيها ومن تلك الاحرام هربوا في سراديب وقد كان فيها على ما يقال سراديب كثيرة تؤدي الى اماكن متباينة. فلما صدت الجنود مرتدةً عن هيكل مارنا هجمت على باقي المعابد الوثنية فهدمت البعض منها واحرقت البعض الاخر بالنار وقد نهبوا ما فيها من الاواني الثمينة. وكان القديس برفيريوس قد حرم في الكنيسة كل مسيحي من اهل المدينة ينهب شيئاً من معابد الاصنام غنيمةً لنفسه. فلم

(١) امكنة شزينة لايحل الدخول اليها

في مدينة غزة ثم سافر الى قيسارية فشيَّعه كل المسيحيين والاسقف البار الى مسافة ميلين عن المدينة

وبعد عشرة ايام وصل المدينة كينيجيوس الفاضل ومعهُ حاكم واميرٍ واعوان عسكريون وملكيون كثيرون. وكان كثيرون من عبدَة الاوثان قد دروا قبل وصوله بغاية قدومه فخرجوا من المدينة هاربين البعض الى القرى والبعض الى مدنٍ غيرها وكان اكثرهم من اغنياء المدينة فحجز كينيجيوس على بيوت الماربين. وفي الغد استدعى اهل المدينة واظهر لهم رسائل الملكين الآمرة بابادة الاصنام وهدم معابدها وحرقها بالنار. فحالما سمع عبدَة الاوثان بذلك اخذوا يصيحون مولولين ولوالاً عظيماً جداً حتى اغتاظ الروساء واخذوا يضربونهم بالعصي والنبابيت. اما المسيحيون ففرحوا فرحاً عظيماً واخذوا يدعون للملكين وللروساء العظام مثنين عليهم. ثمَّ هجموا في الحال مع الروساء والجنود وهدموا ما في غزة من هياكل الاصنام العمومية وكان عددها ثمانية لبعل (١) وافروديتي (٢) وابولُّون وكوري (٣) وايكاتي وإِروس (٤) وتينجي (٥) وزفس (٦) الكريتي مولداً وكانوا يعتبرون هيكله اعظم وافضل

(١) . الشمس . (٢) الزهرة . (٣) الابنة . (٤) البطل او المولود من نسل الهٍ وانسان . (٥) الحظ . (٦) المشتري وهو المعروف بجوبتر فان اسمهُ عند اليونان Ζεύς

افروديتي وكان بعض المسيحيين حاملين الصليب الكريم فحالما رأى الشيطان المستكنّ في العمود رسم الصليب المحمول ولم يطق رؤيته خرج من العمود بارتباك عظيم فسقط العمود فتكسر قطعاً عديدة. وكان رجلان من عبدة الاوثان واقفين بالقرب من الدكة التي كان عليها العمود. فلما سقط شجّ راس احدهما وكسر كتف الاخر ومعصمه فانهما كلاهما كانا واقفين يسخران ويهزءان بالشعب المقدس. فلما شاهد كثيرون من اليونان (١) هذه الآية آمنوا وانضمّوا الى الشعب المسيحيّ ودخلوا معهم الى كنيسة القديسة ايريني المقدسة. وقد فرح المسيحيون في ذلك اليوم فرحاً عظيماً لثلاثة امور اولها انه عاد اليهم اسقفهم سالماً معافى وقد نجح متوفّقاً في مسعاه. والثاني ان آلهة الامم قد سُحقت وصارت كالهباء المنثور من بيدر صيفي بل سُحق معها كذلك المتوكلون عليها. والثالث وهو الاعظم ان نفوساً كثيرة ضالّة خلصت وانضمّ اصحابها الى رعية المسيح فختمهم الاسقف البارّ وصرفهم بسلام موصياً اياهم بأن يترددوا دائماً على الكنيسة لاستماع الصلوات. وكان عددهم اثنين وثلثين رجلاً وسبع نساء. اما رئيس الاساقفة يوحنا فاقام يومين اخرين

(١) يعني بهم الوثنيين

الحلم الى مَنْ يشأنَ الزواج بما يكون وهكذا كنَّ يخدعنَ بعضهنَّ بعضاً كاذبات . وكم زواج قد عقدوهُ استناداً على مثل هذا الوحي الشيطاني فغدا تعيساً جداً حتى افضى الحال بالمتزوجين الى الطلاق او العيشة المعذَّبه المرَّة . وقد اخبرنا بذلك مَن رفض منهم الضلال واهتدى الى الدين الحق . بل البعض من عبدَة الاوثان اذ لم يطيقوا شقاء الزواج الغير الموفَّق الذي كانوا يعتقدونهُ بوحي افروديتي الشيطاني وعن امرها الموهوم اعترفوا بالضلال لغيظهم من سبب شقائهم . فمثل هذه حال الشياطين في الخداع وعدم التكلم بالصدق اصلاً . وليس في امكانهم معرفة الحقائق بل يتظاهرون بالاهتمام بمَن يتعبَّد لهم مستدلّين في اقوالهم بقرائن الحال والاَّ فكيف يمكن العارين من كل صدق وحقيقة ان يعرفوا الحقائق . فان اصابوا مرةً وصدقوا في الاستدلال عن امر يحدث فيكون ذلك على وجه الاتفاق كما يحدث في الامور البشرية ايضاً . فكثيراً ما نرى الناس ينبئون في امرٍ بما يحدث فتتمُّ نبوتهم اتفاقاً فنعجب من صدق نبوتهم واصابة تخمينهم الاتفاقية مع ندورها ونصمت عن عدم اصابتهم في ذلك مع شيوعها . وبهذا الكلام عن الشياطين وضلالتهم كفاية فاعود الى موضوع قصتي واقول لما وصلنا الى المكان الذي كان منصوباً فيهِ صنم

سحر الخامس بلغنا ساحل غزة المدعوّ مايومما

فلما نزلنا الى البر وبلغ من كان هناك من المسيحيين خبر قدومنا هرعوا لاستقبالنا بالتراتيل . وكذلك اهل مدينة غزة حالما بلغهم ذلك جاءوا لاستقبالنا بالتراتيل حاملين علامة الصليب الكريم وانضمّ الفريقان بعضهما الى بعض فصارا جمعاً غفيراً وكان المجتمعون من اهل ذلك الساحل اكثر من اهل غزة لانه كان فيه كثيرون من اهل مصر يتاجرون بالحمور . اما عبدة الاوثان فعند رؤية ذلك تمزّقوا غيظاً ولكنهم لم يجسروا ان يأتوا بادنى حركة لانه كان قد بلغهم خبر ما عامل الملوك به الاسقفين الفائقي البرّ من الحفاوة والاكرام والامر باستئصال الاصنام وهدم معابدها فكانوا في ارتباك وكدر عظيمين . فدخلنا المدينة ووصلنا الى المكان المدعوّ ترامغودوس (١) وكان منصوباً فيه على دكّةٍ او قاعدة عمود من الرخام يُسمَّى عمود افروديتي (٢) كان عليه تمثال امرأة عريانة كل عورتها ظاهرة . وكان كل اهل المدينة ولاسيما النساء يكرّمون العمود ويحترمونه . فكانت النساء يقدنَ له مصابيح ويحرقنَ بخوراً ويُدعنَ عن اعتقادٍ انها توحي في

(١) الطريق المربّع او المصلّب

(٢) الزهرة وهي الهة الجمال عند قدماء اليونان

الناسك يقول لهما عظا ربان السفينة واعيدا ختمهُ بموهبة الروح القدس (لانه من تباع بدعة اريوس الوخيمة) واجعلاه يلعن اريوس ويرفض اعتقاده السيئ فيهدأ النوء في الحال وينكفّ هيجان البحر. وهو لكونهِ من تباع البدعة المذكورة لم يسمح لكما بالاتيان اليّ وزيارتي فعظاه انتما وهو يسمع كلامكما ويقبل منكما الحقّ والتعليم الصحيح. فلما سمع برفيريوس البار ذلك استيقظ فاستدعانا واخبرنا بما رأى في الحلم. فدعونا الربان في الحال وقلنا لهُ أتريد ان تخلّص سفينتك وايانا كلنا ونفسك خاصةً. فاجاب قائلاً لا حاجة الى السؤال عن ذلك. فقال لهُ الاسقفان انكر اعتقادك السيّئ وارفضهُ واعتنق الايمان القويم تخلص انت وسفينتك ونحن جميعاً. فقال لهما الربان ارى فيكما روح نبوة تعرفان بها الغيب (لانكما علمتما بما في قلبي من دون ان يخبركما بهِ احد) فها انا ذا اقول لكما اني اومن كما تؤمنان وانكر رافضاً بدعة اريوس واريوس نفسه وارجوكما ان تنيراني في وقت فراغ وتفقّهاني من الكتب المقدسة لمعرفة الايمان الصحيح القويم. فاعاد الاسقفان البارّان ختمه في الحال تاليين عليه افشيناً وناولاهُ من الاسرار الالهية: وفي اثناء ذلك هدأ النوء وفي المساء تغيّر الهواء فصحا الجوُّ تماماً وراق البحر فاتّبعنا السير اربعة ايام أُخرى وفي

القديس بروكوبيوس الناسك والححنا جداً في الطلب الى ربان السفينة راجين ان يسمح لنا بثلاث ساعات فقط نقضي فيها تلك الزيارة فلم يلبِّ طلبنا قائلاً ان مثل هذا الصحو وطيب الهواء لا يمكن الحصول عليهما دائماً . فاجبناه قائلين اننا بصلوات هذا القديس ودعائه نحصل على هواءٍ ملائم طول سفرنا ويتيسر لنا الوصول بالسلامة . فتصلَّب الربَّان في رايهِ رافضاً طلبنا فاقلعنا من رودس بعد ان استقينا منها ونحن في كدر عظيم لعدم تمكننا من التمتُّع بلذة الاجتماع بالقديس بروكوبيوس فطلبنا اليهِ في الصلاة مبتهلين ان يعفو عنا ويصلي من اجلنا داعياً لنا بسلامة الوصول واتمام العمل الذي فُوِّضنا بقضائه . وبعد ان ابحرنا يومين في صحوٍ وطيب هواء تغير الطقس بغتةً فعصفت الرياح ولمعت البروق وقصفت الرعود وثار النوءُ فهاج البحر وكانت امواجه تتعالى كالجبال الشامخة مرتفعة حتى كنا نخال اننا بلغنا السحاب . فاخذ الركاب يبكون وينوحون نادبين وضاجّين ويتضرّعون الى الله طالبين النجاة وكنا نحن نستغيث بصلوات بروكوبيوس الناسك البار . ثم جاءَ المساءُ ولم ينكفَّ النوءُ ولم يهدأ . فقضينا الليل كلهُ ولم نذق طعم النوم الا في السحر فنام فيهِ الاسقفان القائِما البرّ قليلاً فرأى معلمي برفيريوس في الحلم القديس بروكوبيوس

ومائة دينار لنفقته . وقد استحصل يوحنا ايضاً المذكور اسقف قيسارية الفائق البر على ما شاء من الامتيازات تتعلق بكنيسته ، ثم صلّيا ودعيا كثيراً للملكة وابنها وللملك وباركاهم وانصرفا . ثم استأذنا بالتمثل لدى الملك فسالهما أَقضي غرضكما تماماً أَو وهبتكما الملكة شيئاً . فاجاباه ان غرضنا قد قضي تماماً بظل تقوى وحسن عبادة جلالتكم وجلالة قرينتكم وابنكم المحبَّين لله جداً وقد حصلنا على هبات كثيرة عظيمة . ثم امر الملك في الحال ان يُفرَض لكل واحد منهما عشرون ليترًا (١) ذهباً من اموال فلسطين الاميرية واعطى كلاًّ منهما لنفقته حفنةً من النقود وُجدت عند عدّها خمسين قطعةً فباركاه داعيين لهُ جداً وانصرفا . ثم اقمنا في المدينة ثلاثة ايام أُخرى الى ان حصلنا على الامر بفرض الاربعين ليترًا ذهباً وبعد ذلك بثلاثة ايام ركبنا سفينة وابحرنا وذلك في اليوم الثالث والعشرين من شهر اكسانتيوس الغزاوي (٢) الموافق لليوم الثامن عشر من شهر نيسان الروماني . اما كينيجيوس صاحب الفخمة والابهة فقد سافر بعدنا سالكاً الطريق الرسمي السلطاني فوصلنا الى جزيرة رودس في خمسة ايام فاهتممنا بزيارة

---

(١) هو الوزن المعروف

(٢) وهو من شهور المكدونيين كما تقدم

الشريفة المقدسة والسجود فيها. اما الملكة فلم تاذن له بالسفر اليها خشية ان يترهّب ويبقى فيها لانها كانت مختبرةً سيرته الفاضلة. فانه كان في الحقيقة ذا سيرة فاضلة طاهرة كثير المبرّات دائم الصوم يقري الغرباء ويآويهم ولا يألو جهداً في السعي والمساعدة في ما تقتضيه التقوى وحسن العبادة. وعلى هذا نقتصر في الكلام عن اطوار امانتيوس. فهذا الفاضل قد استدعانا لمقابلة الملكة فتمثلنا لديها فقالت للاسقفين الفائقي البر متى تسافران على اسم الله. فقالا لها هذا ما دعانا الى التمثل لدى جلالتك فاننا جئنا لوداعك. قالت اذكراني وابني على الدوام في صلواتكما. ثم امرت في الحال باحضار نقود فقالت لمعلمي الاسقف برفيريوس خذ ايها الاب هذين القنطارين (١) وابنِ الكنيسة المقدسة التي نذرت واعدةً ببنائها في وسط مدينة غزة وان احتجت الى دراهم غيرها فاعلمني ارسل اليك حالاً. وابنِ نزلاً (٢) ايضاً تقتبل فيه الذين يقصدون مدينتك وتقوم بنفقتهم ثلاثة ايام. واعطت يوحنا الفايق البر الف دينار واعطت كلاًّ منهما اواني مقدسة

---

(١) القنطار او κεντηνάριον عند الرومانيين كان اية قطعة ذهبية من النقود ولعل من ذلك قول الاولين قنطر فلان اي صار صاحب اية ذهب

(٢) فندقاً او مضافة وربما يعني به الدير

بالبحث عن رجل مسيحي ذي غيرة حارّة يُسلَّم اليه الامر . فان كثيرين من الموظفين وارباب المناصب انما كانوا يتظاهرون بحسن الديانة رياءً على ان العدل الالهي قد جازاهم على ذلك . فان الملكين لمَّا علما بان اعتقادهم بالايمان المقدس لم يكن قويماً نزعا عنهم الرتب والمناصب وقاصَّاهم بالاضرار في اجسادهم واموالهم وقد جرى ذلك قبل هذا العهد . فهذا ما دعا الملكة الى ان تأمر بان يُسلَّم تنفيذ الخط الالهي الى رجل ارثودكسي صحيح الاعتقاد . فسُلم الى رجل من اعضاء دار الندوة يُدعَى كينيجيوس وهو رجل حارُّ الايمان حميد المآثر . فاستدعتهُ الملكة واوصتهُ بان يهدم كل هياكل الاصنام ويستأصلها من الاساس ويحرقها بالنار . واعطته من يدها دراهم قائلةً خذ هذه لنفقتك ولا تأخذنَّ شيئاً من الاسقفين الفائقي البر . فاقتبل هذه الاوامر من الملكة وخرج من عندها مسروراً ومرتاحاً الى تتميمها بمزيد الهمة والنشاط

اما نحن فبعد ان قضينا هناك باقي فصل الشتاء وايام الفصح المقدس وسبَّة القيامة اخذنا نتأهب للسفر فطلبنا الى امانتيوس الشهم الفاضل ان يستاذن لنا الملكة بالتمثل لديها للوداع . فتكدر مكتئباً لسماعهِ بعزمنا على السفر لانه احبَّنا محبة عظيمة حملته على طلب الرخصة من الملكة بمرافقتنا بحجة قصد زيارة الاماكن

امانتيوس المحب لله

وفي اليوم التالي استدعتنا الملكة وبعد ان صافحت الاسقفين كالعادة امرتهما بالجلوس وقالت لهما ان الله قد الهمني بدعائكما الاعتناء بقضيتكما وقد تم غرضكما بمعونته تعالى وقد رأيتما الطريقة التي استعملتها. فغداً ان شاء الله استدعي ناظر قلم التحريرات (١) وآذنه في حضوركما بأن يكتب خطًّا الهيًّا من قبل الملكين بتنفيذ مضمون عريضتكما وكل ما تقولانه له بوجه الاجمال. فلما سمع الاسقفان ذلك باركاها ودعيا لها ولابنها وللملك كثيراً واطرفاها بحديث روحي كثير مفيد ثم ودَّعاها وانصرفا. وفي اليوم التالي استدعت ناظر قلم التحريرات وايانا وقالت لهُ خذ هذه العريضة وعلى مضمونها حرر خطًّا الهيًّا. فاخذ ناظر قلم التحريرات العريضة وعلى الفور املى على الكاتب الخطَّ الالهي في حضرتنا بعناية واهتمام. فعرضنا عليه ان يخصصنا بتعيين امراء وحكام ومَنْ يلحق بهم من الجنود يصحبوننا لحمايتنا والمدافعة عنا ففعل. ولما تمَّت كتابة الخط الالهي والتوقيع عليه طلبنا الى الملكة راجين ان يوكل تنفيذهُ الى رجل من العظماء المشاهير ففوَّضت امانتيوس

(١) قياستور xυαίστωρ عند الرومانيين كان ناظر المالية ولعله كان ناظر قلم التحريرات ايضاً

بأَمرنا وغرضنا (لان الملكة كانت قد اخبرتهُ بذلك) فأَمر باطلاعه على مافي العريضة فاخذها ووقف وامر بالصمت والهدو. ثمَّ فتح العريضة وقرأَ جزءًا منها ثم لفَّها ووضع يده على راس الطفل وحناه قليلاً وهتف قائلاً على رؤُوس الاشهاد قد امرت جلالتهما بان يتمَّ كل ما في العريضة فشاهد كل الحاضرين ما كان وسجدوا للملك وغبَّطوه مهنئين بانه أُهِّل ان يرى في حياته ابنًا يملك معه. وكان هو يعتزّ مفتخرًا بسماع ذلك. فبلغ الملكة افدوكسية خبر ما كان من امر ولدها ففرحت وركعت لله ساجدةً وشكرته تعالى. ولما دخل الولد البلاط استقبلته واخذته وقبَّلته وحملته على ذراعيها وقبَّلت الملك ايضاً وقالت له هنيئًا لك ايها السيد بما رأَت عيناك في حياتك. ففرح الملك مسرورًا بما سمع. واذ رأَت الملكة السرور طافحًا على وجهه قالت له لنرَ ان تحسَّن لديك ماذا تحوي هذه العريضة لكي نجريه كله. فأَمر الملك بتلاوتها فتُليت فقال ان الطلب ثقيل ولكن ردَّه اثقل لانهُ اول امر اصدرهُ ابننا. فقالت لهُ الملكة لا لانهُ اول امر اصدرهُ فقط بل لانه قد اصدره في هذه الهيئة المقدسة ايضاً ولانه طلبٌ يتعلق بالتقوى وحسن العبادة وقد طلبهُ منا رجالٌ ابرار. فانعطف الملك الى قبوله بعد الجهد لشدة الحاح الملكة عليه. وقد اخبرنا بكل ذلك

في مكان المتضلّعين القادرين في الكلام ادع لهم ذلك واعود
الى اتباع قصتي الصادقة فاقول لما تعمد الطفل ثاودوسيوس
وخرجوا به من الكنيسة كان المشهد بديعاً بأُبَّهة الجمهور الذي
كان يتقدمه وبهاء حللهم الفاخرة اللامعة وكانوا كلهم بيض
الملابس يخال للناظر انهم مكسوُّون ثلجاً. وكان يتقدمهُ البطارقة
والامراء العظام واصحاب الرتب المتنوعة وكتائب عسكرية
حاملين كلهم شموعاً يخال للعين انهم كواكب قد ظهرت على
الارض. وكان الملك اركاديوس نفسه يسير بجانب حامل الطفل
مبتهجاً طلق الوجه وكان وجهه ابهى من الحلة الارجوانية التي
كان متردياً بها. وكان حامل الطفل وهو احد العظماء لابساً
حلَّةً فاخرة بهية. فدُهِشنا نحن برؤية مثل هذه العظمة والمجد.
فقال لنا القديس برفيريوس ان كانت الأُمور الارضية التي بعد
قليل من الزمن تزول ابَّهةٌ ومجد مثل هذا فكم هي ابهة ومجد
الامور السماوية المعدَّة للمستحقين التي لم ترَها عين ولا سمعت
بها اذن ولا خطرت على بال انسان. اما نحن فوقفنا خارج باب
الكنيسة المقدسة وبيدنا العريضة وفي حال خروج الطفل من
جرن المعمودية صرخنا قائلين اننا نتواقع على تقوى جلالتكم
مترامين ورفعنا العريضة بايدينا. فرانا حامل الصبي وكان عالماً

الجحيم لن تقوى عليها » . فقلتِ لي انتِ سلام لك تقوَّ وترجَّل .
ثم استيقظت وقد ايقنت بان ابن الله لا بدّ من ان يعضدك في
ما تنوين فقولي لنا الان يا ذات الجلالة بماذا افتكرتِ . فاجابت
قائلةً ان الولد ينال بعد ايام قليلة سرَّ المعموديه المقدسة بتوفيق
السيد المسيح فاذهبا واكتبا عريضة تطلبان بها كل ما تشاءان
وعتي خرج الطفل من جرن المعمودية المقدسة سلّما العريضة لحامله
وانا اعلّمه ماذا يفعل . ولي الامل ان تتدبَّر القضية بحنو ابن الله
طبق المرغوب وتفوزا بغرضيكما تماماً باذنه تعالى . اما نحن فبعد
حصولنا على هذه الاوامر باركناهما وباركنا الطفل وخرجنا
منصرفين . ثم كتبنا العريضة نطلب بها لا كسر الاصنام وهدم
معابدها فقط بل منح امتيازات واقطاعات للكنيسة المقدسة
وللمسيحيين فان الكنيسة كانت في حالة الفقر والحاجة

ثمَّ توالت الايام وجاءَ اليوم المعيَّن لتعميد ثاودوسيوس
الملك الجديد وانارته . فزيّنت المدينة كلها بالفرش الحريري
والذهبي وبكل نوع من انواع الزينة وكانت زينتها بديعةً بارة
ليس في الامكان وصفها وكنت ترى جماهير السكان يتماوجون
فيها متردّين انواعاً مختلفة من ثياب الزينة الفاخرة . واذ كنت انا
عاجزاً وليس في امكاني وصف رونق وبهاء تلك الزينة بل ذلك

سرورٌ عظيم بولادته وأُرسلت البشائر الى سائر المدن ونُثرت الهبات والعطايا على الاهالي . اما الملكة فحالما نهضت عن كرسي الولادة بعثت الينا باماتثيوس يقول عن لسانها اشكر السيد المسيح لانه بصلواتكم وادعيتكم البارة رزقني الله ابناً فصلُّوا ايها الآباء من اجل حياته ومن اجلي انا الذليلة حتى اتمكن من انجاز ما وعدتكم به بمشيئة المسيح نفسه بواسطة صلواتكم المقدسة وادعيتكم المستجابة . ولما كملت سبعة ايام لنفاسها استدعتنا ولاقتنا الى باب الردهة حاملةً الطفل ملتفاً بالارجوان وحنت رأسها قائلةً اقتربوا باركوني ايها الاباء و باركوا هذا الولد الذي رزقنيه الله بصلواتكم المقدسة وادعيتكم المستجابة وسلمت الاسقفين البارَّين الطفل لكي يختماه فختماها والولد بختم الصليب المقدس ثم صلَّيا وجلسا وبعد ان تكلما باقوال خشوعية كثيرة قالت لهما الملكة أتعلمان ايها الابوان ماذا افتكرت ان اعمل بقضيتكما . فاجابها معلمي برفيريوس كل ما فتكرت به فبالهام من الله افتكرت به . فانه في هذه الليلة تراءى لحقارتي في الحلم اني في مدينة غزة واقفاً في معبد الاصنام المدعو المارني وان جلالتك التقيَّة ناولتني الانجيل قائلةً خذ واقرأ . ففتحته اذا بالعبارة التي يقول فيها السيد المسيح لبطرس « انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب

الطرب فازداد حسناً وجمالاً . ولا ريب بان الظواهر تدل على البواطن . فقالت للاسقفين الفائقي البر صليا ايها الابوان مبتهلين الى الله ان يرتضي بان يكون مولودي ابناً حسب قولكما . فان تمَّ لي ذلك اعدكما باجراء كل ما تطلبان وازيد كما باذن المسيح شيئاً لم تطلباه وهو بناء كنيسة مقدسة في وسط مدينة غزة فاذهبا بسلام وكونا في طمانينة وراحة بال وواصلا التضرُّع والابتهال الى الله من اجلي لكي الد واقوم بالسلامة بحسب رحمته وحنوه فان هذا هو الشهر التاسع لحبلي وقد ناهز التمام . فاستأذنها الاسقفان واستودعاها الله وخرجا من البلاط . وكنا مع وثوقنا بصحَّة كلام بروكوبيوس الناسك البار نواصل الصلاة والابتهال الى الله من اجل ولادتها ذكراً ونتردد كل يوم على يوحنا رئيس الاساقفة الاقدس ونتمتَّع بعذوبة حديثه الالهي الذي كان احلى من الشهد . وكان امانتيوس الحاجب يتردد علينا كثيراً تارةً لتبليغ كلام من قبَل الملكة وتارة لمجرَّد زيارتنا والاجتماع بنا

ثم بعد ايام قليلة ولدت الملكة ولداً ذكراً فدُعي اسمهُ ثاودوسيوس على اسم جدّهِ ثاودوسيوس اسبانوس الذي شارك غراتيانوس في الملك . اما ثاودوسيوس المولود حديثاً فقد ولد في عهد تملك والدهِ فسُمي من الاقماط ملكاً . وقد شمل العاصمة

فنبدأ بنزع الوظائف والخدم المدنية عن عبدة الاوثان فيها ثم نامر باقفال معابدهم وتعطيلها فمتى تضايقوا وانحصروا يندفعون الى معرفة الدين الحق اما المباغتة بما يتجاوز حدّ الاعتدال فهي ثقل على الرعية باهظ . فحزنت الملكة مستاءةً جدًّا (لانها كانت ذات غيرةٍ دينية حارة) ولم تجب الملك الاَّ بقولها ان الرب يساعد عبيده المسيحيين ان اردنا نحن ام لم نرد . وقد اخبرنا بكل ذلك امانتيوس الحاجب التقي

وفي اليوم التالي استدعتنا الملكة وبعد ان ابتدرت الاسقفين البارّين بالمصافحة كجاري العادة اذنت لهما بالجلوس فجرى حديث روحي مستطيل . ثم قالت لهما اني كلمت الملك بخصوص قضيتكما فاستاء قليلاً مستصعباً طلبكما . ولكن لا تكتئبا فاني بمشيئة الله لَن انفكّ عن ملاحقته الى ان تتوفقا وترحلا من هنا فائزين مسرورين بنوال غرضكما الالهي . فلما سمعا منها ذلك سجدا لها . اما القديس برفيريوس فسطا الخشوع على فؤاده وتذكّر كلام برو كوبيوس الناسك المثلّث الغبطة فقال للملكة تكلفي التعب في سبيل المسيح وهو يرزقك مكافاةً عن تعبك ابناً يعيش ويملك سنين عديدة في حياتك وتحت نواظرك فتهنأين بذلك . فامتلأت الملكة فرحاً وسروراً عند سماعها كلامه وعلت وجهها حمرة

عليها اخبار عبدة الاوثان وكيف يجرون المحرّمات والرجاسات بدون خوف ولا خشية وكيف يضطهدون المسيحيين ويستعبدونهم ولا يسمحون لهم بتقلّد خدم مدنية ولا بفلاحة اراضي قراهم التي يدفعون عنها الضرائب الى خزينة الحكومة. فتاثرت الملكة لسماع ذلك جدًّا وقالت لا تكتئبا ايها الابوان. فاني ارجو من مراحم السيد المسيح ابن الله ان اقنع الملك بأن يجري كل ما يليق ويلايم ديانتكما المقدسة وان يصرفكما من هنا مجبوري الخواطر. فاذهبا الان ارتاحا (لانكما منهوكان من التعب) وتضرعا الى الله مبتهلين ان يعضد مرغوبي بعونه تعالى. ثم امرت باحضار نقود فاعطت كل اسقف ثلاث حفنات قائلةً خذاها لنفقتكما الان. فقبلها الاسقفان منها وباركاها ودعيالها كثيرًا وانصرفا وفي خروجهما من عندها وزعا اكثر النقود على الضباط الخفراء الواقفين على الابواب بحيث لم يبقَ معهما منها الا القليل. اما الملكة فلما حضر الملك اليها اعلمته بكل ما يتعلق بالاسقفين وطلبت اليه ان يهدم معابد الاصنام في غزة. فاستاءَ الملك مستصعبًا ذلك وقال لها اعلم ان تلك المدينة ممتلئة اصنامًا ولكنها تؤدّي ضرائب كثيرة عن رضى وامتنان. فان دهمنا اهلها بالمخاوف دفعةً واحدة يشردون هاربين فنخسر دخلاً وافرًا. ولكن ان تحسن نتدرج في التضييق عليهم شيئًا فشيئًا

واومل من اله الكل ان يعاملكما برحمته كعادته . ثم ثاني يوم امثلكما لديها وتكون قد وقفت على حقيقة القضية مني فتقولان لها شفاهاً ما تريدان . وبعد ان قال لنا ذلك ودعنا ومضى . فتحادثنا نحن ويوحنا رئيس لاساقفة الفايق البر بامور روحية كثيرة ثم استاذناه وانصرفنا

وفي اليوم الثاني ارسل امانتيوس الحاجب يستدعينا الى البلاط فنهضنا وذهبنا مسرعين فوجدناه ينتظرنا فاخذ الاسقفين وادخلهما الى الملكة افدوكسية . فلما راتهما ابتدرتهما بالمصافحة قايلةً باركا ايها الابوان . اما هما فسجدا لها . وكانت جالسةً على سرير من ذهب . فقالت لهما سامحاني يا كاهني المسيح لاني مثقّلة بالضرورة من الحبل والاّ فانه كان من الواجب عليّ ان استقبلكما ايها البارّان في مدخل الحجرة . ومع ذلك اناشدكما الرب ان تصليا الى الله من اجلي لكي يعاملني برحمته ورافته فتتسهل ولادتي . فاجاباها قايلين الاله الذي بارك ارحام سارة ورفقة واليصابات يبارك الجنين الذي في بطنك ويجعله من اولاد الحيوة . ثم بعد ان اطرفاها باقوال روحية كثيرة قالت لهما علمت بسبب تحمّلكما مشقة السفر الى هنا وقد اعلمني به امانتيوس الحاجب فان اردتما انتما ايضاً ان تقولا لي شيئاً فذلك اليكما ايها الابوان . فقصّا اذ ذاك

انا فلا اعبأُ بغضبها ولا يهمني ذلك فانهما قد اضرّا بانفسهما لا بي فان اضرّا بجسدي فهما ينفعان نفسي كثيراً . فلندع هذا الامر لحنوّ الله ومراحمه . اما القضية التي تطلبان صدور الامر بها فغداً استدعي امانتيوس الخصي حاجب الملكة وهو رجل دَيّنٌ متعبّدٌ لله ولهُ نفوذ لدى الملكة واخبره بها وافوض امرها اليه فهو يهتم بها اهتماماً عظيماً باذن السيد المسيح . ثم استاذنّاه نحن واستودعناه الله وانصرفنا راجعين الى منزلنا

وفي الغد عدنا الى يوحنا البار فوجدنا عنده امانتيوس الحاجب . فانه كان قد اهتمّ بقضيتنا فاستدعاه واعلمه بكل ما يتعلق بها . فلما دخلنا وعلم امانتيوس اننا نحن هم الذين كلمه بخصوصهم نهض وسجد للاسقفين الفايقي البر خارّاً على الارض . واذ علما هما كذلك مَن هو عانقاه هما ايضاً وقبّلاه . ثم اذن لهما يوحنا رئيس الاساقفة البار بان يخبرا الحاجب الموما اليه شفاهاً بقضيتهما فحدّثه برفيريوس الفايق البر بكل ما يتعلق بعبَدة الاصنام واخبره كيف يجرون المحرّمات جهاراً وكيف يجورون على المسيحيين ويكلفونهم المشاقّ : فبكى لسماع ذلك ثم ثارت به غيرة الهية فقال لهما لا تكتئبا ايها الابوان فان السيد المسيح يحامي عن ديانته لا محالة . فصليا انتما مبتهلين اليه وانا اتكلم مع جلالة الملكة بهذا الصدد

الزيَّ الكهنوتي فيمثلكما امام الملكة فتنعطف الى حسن قبولكما. ومتى دخلتما اليها فاخبراها بقضيتكما وفوضا اليها الامر واخرجا من عندها منصرفين. وفي تمثلكما الثاني لديها بعد تذكيرها بقضيتكما قولا لها اننا نومل مترجيين من مراحم ابن الله ان اعتنيتِ بقضاء غرضنا ان يرزقك مولوداً ذكراً. فمتى سمعت منكما ذلك تُمرُّ سروراً عظيماً (فانها حبلى وهذا هو الشهر التاسع لحبلها) فتبذل ما في وسعها في قضاء غرضكما باذن الله تعالى

فسمعنا نحن كلام هذا الرجل البار وايقنَّا بصدق اقوالهِ. ثم ودعناه وخرجنا من عنده وفي نفس ذلك اليوم ابحرنا فوصلنا بعد عشرة ايام الى بزنطية فحللنا في نزل او فندق وفي اليوم التالي مضينا الى رئيس الاساقفة يوحنا البار (١). فلما عرف مَنْ نحن استقبلنا باكرام وحفاوة عظيمة وسالنا عن السبب الذي دعانا الى احتمال مشقة السفر فاخبرناه فتذكر اننا اعلمناه بذلك قبل الان ايضاً بمدة من الزمان برسائل ارسلناها اليه مستمدين مساعدته. ثمَّ توسَّمني فعرفني فقبَّلني بلهفةٍ وتلطف بنا طالباً ان لا نكتئب بل نلقي اتكالنا على الله الرحوم واردف ذلك بقوله انا لا اقدر ان اكلم الملك فان الملكة قد حركته الى الغضب عليَّ لاني اقمت عليها دعوى عن قطعة ملك رغبتْ فيها فاغتصبتها اما

(١) هو الذهبي الفم

يجب عليَّ التاخر. فعلمنا من ذلك ان هذا البار كان بعيد النظر يرى الغيب فانهُ من دون ان يرانا قبلاً اويسمع عناشيئاً علم بالروح ان يوحنا وبرفيريوس الفايقي الغبطة كانا اسقفين فصدَّرهما في الصلاة. وبعد الصلاة جلسنا فاطرفنا باحاديث عظيمة الفائدة للنفوس ثم سالنا عن سبب سفرنا فقصَّ عليه برفيريوس كل اخبار اهل غزة وولعهم وهيامهم بالاصنام وما يكابدهُ المسيحيون فيها من العذابات التي يعاملهم بها عبَدة الاوثان واعلمه بان ذلك بعثنا على الذهاب الى العاصمة لكي نتوسل الى الملك طالبين هدم معابد الاصنام. فلما سمع القديس بروكوبيوس الناسك تلك الاخبار بكى وقال ايها الرب يسوع المسيح ردَّ عبيدك من ضلال ابليس الى نور الايمان بك. ثمَّ قال للاسقفين الفايقي البرّ لا تكتئبا يا ايها الابوان فان الله يعلم غيرتكما الدينية فهو يوفقكما ويبلغكما كل امانيكما. وها انا ذا اشور عليكما بما اعلنه الله لحقارتي فاقول متى بلغتما بزنطية واجها اولاً يوحنا اسقفها الفايق البرّ واشتركامعه في اقامة الصلوات وتقديم الطلبات الى الله ثم فوّضا الامر اليه فيشور عليكما بما يعلنه الله له وهو لا يمكنه ان يتكلم شيئاً في البلاط الملوكي لان الملكة افدوكسية ساخطة عليه بل يسلم قضيتكما الى اناتيوس حاجب الملكة وهو رجل تقي يحترم

غزة وبوصولي الى قيسارية وجدت الاسقفين الفائقي البر متأهّبين للإبحار فأقلعنا منها بعد يومين وذلك في الثامن والعشرين من شهر ابريتيوس وكان سفرنا على الطائر الميمون بتحنن السيد المسيح وفي عشرة ايام وصلنا جزيرة رودس فارسينا فيها

وكان في الجزيرة اذ ذاك متوحد اسمه بروكوبيوس ينسك في مؤخّرتها وقد انتظم الان في سلك الملائكة لانه رقد بالرب من مدة خمس سنوات بعد ان عاش عيشة فاضلة في الصوم والقنوت وتمام الفقر وكان حاصلاً على موهبة النبوة وموهبة طرد الشياطين. فلما وصلنا الى رودس وسمعنا بسيرة هذا الرجل القديس رأينا من الضرورة ان لا نعرض عن زيارته بل نتمتع بالاجتماع بهِ ومنادمته الملائكية فسالنا عن محل اقامته ومضينا اليه بحراً في زورق. ولما وصلنا قرعنا الباب فخرج هو نفسه على الفور وفتح لنا مع ان لهُ تلميذاً كان عندهُ. وحالما رأى الاسقفين الفايقي البرّ خرَّ على وجههِ ساجداً لهما ثمَّ نهض وقبَّلني انا وافسابيوس الشماس التقي الذي احضرهُ معهُ يوحنا رئيس الاساقفة البار ثم دخل بنا الى بيت الصلاة ماشياً الى الوراء احتشاماً يتقدمه بموجب طلبهِ الاسقفان الفايقا الغبطة وقد قال لهما لكما يا كاهني الرب يحق التصدر وانا الحقير الذي لم يُوهَّل بعد لدرجة كهنوتية

غزة من المظالم والمنكرات . فطلب اليه يوحنا المغبوط ان يحلم ويطيل الاناءة ولا يجزع فيترك الاسقفية . فاجابه برفيريوس الكلي البر قائلاً اناشدك الله الآب الغير المنظور ورجائنا يسوع المسيح رب كل البرايا والروح القدس المحيي والمسجود لهُ ان لا تتغاضى عن طلبتي وتهملها لئلاَّ نُطالب بهلاك نفوس كثيرة العدد بل التمس منك ايها الأَب واتواقع عليك راجياً ان ترافقني في السفر الى عاصمة المملكة لكي نتوسل الى الملك عن ثقةٍ و يقين بتعطُّف الملك السماوي ان يهدم معابد الاصنام . فاجابه يوحنا المغبوط وقال ان طلبك يا ولدي عادل ولكنَّ الوقت غير مناسب فان الانقلاب الشتائي قريب فيتعذَّر السفر فيه . فقال له برفيريوس المغبوط ان اراد الله بقاءنا احياءً وارتداد اهالي غزة فهو قادر ان يعيدنا سالمين . فاعزم انت ايها الاب على السفر واثقاً بمراحم الله وحنوه فنتوفق في الابحار الى العاصمة . فاجابه يوحنا المغبوط قائلاً لتكن مشيئة المسيح

وحالما حصل برفيريوس المغبوط على الرخصة كتب اليَّ آمراً بسرعة الحضور الى قيسارية واحضار ثلاثة كتب معي وثلثة واربعين ديناراً كانت متوفرة من دخل الكنيسة المقدسة . فلما اتتني رسالته اخذت الكتب والدنانير وبادرت بالسفر من

ذلك رفعت صوتها وصرخت قائلة ان برفيريوس الكاهن العظيم يقول ليشفك الرب يسوع المسيح ابن الله الحي . آمني به تحيي . فصرخت المرأة في الحال صراخاً عظيماً متألمة وانزلت الطفل حياً . فبهت كلُّ الحاضرين هناك متعجبين وصرخوا قائلين عظيمٌ هوَ اله المسيحيين وعظيم هو برفيريوس الكاهن . وفي اليوم التالي مضى أبوا المرأة وزوجها وكل اهلها واصدقائها الى برفيريوس المغبوط وانطرحوا على قدميه راجين ان يختمهم بختم المسيح فختمهم . واحصاهم في مصاف الموعوظين وصرفهم بسلام موصياً اياهم ان يثابروا على التردد الى الكنيسة المقدسة . وبعد ان وعظهم قليلاً من الزمن عمَّدهم هم والمرأة والطفل ودعا اسم الطفل برفيريوس . وكان عدد المستنيرين بعلة شفاء المرأة ستة واربعين شخصاً

اما عبدة الاوثان فكانوا يزدادون غيظاً وتوحشاً كلما رأوا المسيحيين يزدادون عدداً وكانوا لا يسمحون لهم بنوال وظائف مدنية بل يعاملونهم معاملة خدام لا غير . فلما رأى برفيريوس البار ظلم المسيحيين العظيم الباهظ ولم يطق ان يرى التثقيل عليهم بل استعبادهم مضى الى قيسارية لمقابلة رئيس اساقفتها يوحنا المغبوط وطلب اليه متواقعاً بعبرات حارة ان يريحه ويخلصه من هذه الحالة وقائلاً انه لم يعد في امكانه الصبر على ما يجريه اهل

حاذقاً يمكنه شفاءها . فان خلّصها من خطر الموت وشفاها فماذا تهبونه . فلا ريب بانهم يعدونكِ باشياءَ كثيرة . فقولي لهم اذ ذاك عاهدوني انكم لا تنكثون بوعدكم متى شفيت المرأة ولا تلتجئُون فيما بعد الى غير هذا الطبيب . واجعليهم كلهم يرفعون ايديهم الى السماء ويعاهدونك على انجاز كل ما يعدون به . ومتى فعلوا ذلك قولي للمرأة الوالدة خاصةً ليشفِكِ الرب يسوع المسيح ابن الله الحيّ (آمني بهِ تشفي وتحيَ) . فلما سمعت العجوز كلام برفيريوس المغبوط ودّعته واسرعت ركضاً الى بيت النفساء فوجدتها في اخر درجة من الخطر وكل الحاضرين يبكون . فقالت لوالديها وزوجها ثقوا وتعزّوا ولا تغتمُّوا فان طبيباً حاذقاً ارساني اليكم وهو يطلب ان تعاهدوهُ انكم متى شفيَت ابنتكم لا تنكرونه . فاجابوها على الفور قائلين ان اراد اخَذ كل اموالنا لا نتأخر عن اعطائها يكفينا ان نرى ابنتنا حيَّة معافاة . فقالت لهم المرضعة ارفعوا ايديكم الى السماء وعاهدوني انكم لا تنكرون الطبيب فرفعوا ايديهم بلهفةٍ ودموع حارة قائلين ان كل ما لنا وقفٌ عليه ونحن ايضاً وقف عليه كل ايام حياتنا . فاي عزاءٍ واية سلوى تكون لنا ان ماتت ابنتنا . وقد كانت ابنةً وحيدة تمتاز عن كل النساء في اللطف والرقة وحسن السلوك . فلما سمعَت المرضعة

تصيب المرأة آلام عنيفة كلما تجددت المخاض ودفعت الطفل نحو الخارج. وفي ثاني يوم اشتدَّت آلامها وازدادت اشتداداً في ثالث يوم ودامت سبعة ايام تزداد حالتها سوءًا. فاراد الاطباء ان يأتوا عملية جراحية في توليدها ولكن هبوط قواها منعهم عن ذلك. وكان ابواها وزوجها واسمه ايروس من عَبَدَة الاوثان فجعلوا يقدمون كل يوم ضحايا من اجلها ويستدعون لها السحراء والمنجمين ظنًّا منهم بحصولها على فائدة فلم تحصل على ادنى فائدة من كل ذلك وكانت مرضعتها وهي امرأة مؤمنة تتوجع عليها حزينةً وتواصل الصلاة والابتهال في الكنائس من اجلها. وفيما كانت يوماً تصلي في الكنيسة وتتوسل بدموعٍ حارَّة دخل القديس برفيريوس وانا معه وذلك نحو الساعة التاسعة من النهار فرأى العجوز حزينةً تتضرَّع الى الله بدموع حارَّة فوقف وسالها عن السبب. فلما رأته انطرحت على قدميه واخبرته عن السبب طالبةً اليه ان يتضرَّع الى المسيح من اجلها. فبكى هو ايضاً لانهُ كان حنوناً شفوقاً وقال للمرضعة بلغني ان ذلك البيت مملوءٌ اصناماً فيصعب فيه الخلاص والشفاء ولكن كل شيءٍ عند الله مستطاع فهو بعللٍ احياناً يخلص من كان مزمعاً ان يهلك. فامضي واجمعي والدَي المرأة وزوجها واهلها جميعاً وقولي لهم ان ههنا طبيباً

الفايق الغبطة فقرأه وسُرَّ جداً وفي الحال تركته الحمّى وصحّ . فان مرضه كما قال لي كان نتيجة غمهِ وكدره من عبدة الاوثان . وبعد وصولي بسبعة ايام وصل ايلاريوس المذكور ومعه اعوان كثيرون من ازوت وعسقلان وكل وجهاء الجمهور واعيانه فقبض في الحال على الروساء الثلاثة واخذ عليهم ضمانات كافية واظهر لهم الخط الالهي الآمر باقفال وتعطيل معابد الاصنام في مدينة غزة متوعداً اعيان اهاليها بقطع رووسهم ان لم يقابلوا الامر بالطاعة والتنفيذ . وهكذا كسر كل الاصنام وسكّر معابدها . اما هيكل مارنا فقد ارتشى ايلاريوس باموال طائلة من اجله فتركه مفتوحاً تجرى الفروض فيه خفيةً . فاستمرّ عبدة الاوثان يجرون فيه الفظائع كالعادة

ثم حدث حادث عجيب دعا كثيرين الى معرفة الحق . فان الله بعظم رافته وحنوه يردُّ الجنس البشري الى الاستنارة بالنور العقلي بوسائل يعرفها هو . اما الحادث فهو ان امرأةً من اعيان اهل المدينة ووجهائها اسمها اليّا اصابها خطر عظيم في ولادتها وذلك ان الطفل اخذ في ولادته وضعاً غير طبيعي فخرجت اولاً يده من الرحم فاعترض جسده في البطن فلم يمكن خروجه منه ولم تستطع الدايات ردّه الى الحالة الطبيعية فكانت

الملك هدم هياكل الاصنام وكانت لم تزل موجودة في غزة لاسيما الهيكل المعروف بالمارني . فاصحبني برسالة كتبها الى يوحنا اسقف القسطنطينية الفائق برُّهُ وكان طائر الصيت يثني الجميع على مآثره ثناءً عاطراً . فسافرت من غزة وفي عشرين يوماً بلغت بزنطية فسلمت الرسالة الى يوحنا المغبوط واخبرته شفاهاً بكل ما كان . فاستدعى على الفور افطروبيوس الحاجب وكان ذا نفوذ عظيم جداً لدى الملك اركاديوس وقرأ له رسالة الاسقف برفيريوس المغبوط وطلب اليه ان يبذل الجهد في تنفيذ فحوى الرسالة . فخرج للسعي في ما أُوصي به . فقال لي الاسقف تردَّد عليَّ يا ابني فاني ارجو من السيد المسيح ان يعاملنا برحمته كعادته . فلم افتر من التردد عليه وتذكيره كل يوم وكان هو يبعث الى افطروبيوس ملحّاً عليه بالطلب . فبعد سبعة ايام صدر خط الهي (١) باقفال وتعطيل كل هياكل الاصنام في مدينة غزة بحيث لا يبقى معبد منها وسُلِّم الخط الى رجل من حاشية الماجسطرس (٢) واسمه ايلاريوس . فسافرت انا بعد ثلاثة ايام من بزنطية وفي عشرة ايام وصلنا الى مدينة غزة قبل وصول ايلاريوس اليها بسبعة ايام فوجدت برفيريوس البار مريضاً فسلمته جواب يوحنا اسقف القسطنطينية

(١) امر ملوكي (٢) الامير او الحاكم

والشرائع الابوية تحظر ذلك . وكانوا في اثناء ذلك يشتمون الاسقف المغبوط فلما سمعت انا والشماس كرنيليوس الضجة والغوغاء خرجنا . فلما رأونا شرعوا يضربوننا فاستشهدنا الجمهور الحاضر متوعدين برفع دعوانا فسكّتنا لاسقف الكلّي برّه واخذ ينصح كلاً منهم طالباً اليهم ان لا يحتدموا غيظاً علينا هكذا بدون فحص ولا تدقيق . فكانو اكلما توسل الى اولئك الكفرّة اللئام يزدادون هياجاً ويوسعونه شتماً واهانة . ففي اثناء ذلك الاضطراب والغوغاء اشتدت عزائم باروخاس الهائم بحب الله وثارت به الحمية الالهيــة فنهض وتناول قطعة خشب وهجم على الحضور وابتدأ يضربهم فسطا عليهم الخوف واخذوا يطأون بعضهم بعضاً هاربين . فاستمرّ بطاردهم الى هيكل مارنا ثمّ عاد منصرفاً عنهم طافراً طفراً عظيماً مثل شمشون الجبار وقد اهلك هو ايضاً من الاعداء الغرباء الف نفس فصار عبدة الاوثان من ذلك الحين يخافون منه ولا يطيقون سماع اسمه .

وبعد قليل من الزمن نلت انا وباروخاس البار درجة الكهنوت مسامين شماسين اما انا فعلى غير استحقاق واما هو فعن اهلية واستحقاق . واذ رأى ابونا البار برفيريوس فظائع عبادة الاوثان تجرى كل يوم بدا لهُ ان يرسلني الى بزنطيه اطلب متضرّعاً الى

باروخاس فنحاساً ثانياً على عَبَدة الاوثان) واسرع بمعاملة باروخاس بالرأفة والمرحمة. ففتح عينيه في تلك الليلة نفسها وابتدأَ يتكلَّم وطلب ان يشرب وكنت انا جالساً بجانبه فاسرعت ركضاً لكي اخبر الاسقف المغبوط بذلك ومن شدة فرحي ذهلت عن اعطائه ما يشرب. وقد اصابني ما اصاب الجارية التي سمعت صوت بطرس الرسول المغبوط وهو يقرع الباب فطار قلبها فرحاً فذهلت عن فتح الباب واسرعت تخبر اولاً من في البيت بقدومه تاركةً اياه خارجاً. فمثل هذا قد اصابني انا ايضاً. اما الاسقف المغبوط فلم يستفزَّه الفرح الى قطع الصلاة بل استمرَّ يصلّي. واما انا والشماس كرنيليوس البار الذي كان جالساً معي بجانب باروخاس المغبوط وزافقني في الاسراع لاخبار الاسقف فلعلمنا بثبات عزم الاسقف ورباطة جاشه تركناه يصلي وانصرفنا راجعين الى باروخاس فلما اتمَّ الاسقف الصلاة واكمل الفروض الكنائسية حضر وجلس معنا بجانب باروخاس وسأَله عما اصابه من اول الحادث الى آخرهِ فاخبرنا بذلك على التفصيل. وفيما كنا نتشاور في مايجب عمله انبثق الفجر فحضر المحامي عن حقوق الجمهور (١) مع عضوين من اعضاء المجلس والرئيسين تيموثاوس وابيفانيوس ومعهم جمع غفير واخذوا يصيحون ويضجون قائلين لماذا دخلتم ميتاً الى المدينة

(١) المدعي العمومي

لاعتقادهم بان المدينة تتنجس بادخال ميت اليها فاختطفوه عن اكتاف حامليه وطرحوه على الارض واخذوا يضربون الشماس كرنيليوس والرجلين المسيحيين . ثم ربطوا باروخاس المغبوط من رجله بحبل وصاروا يجرُّونه . فأبلغ بعض الاخوة الخبر الى الاسقف المغبَّط فاضطرب ودعا ثلاثة من الاخوة كانوا عنده وقال لهم . تشجعوا ايها الاخوة وبادروا ركضاً فالساعة ساعة شهادة . فاسرعنا مهرولين الى المكان الذي كان القوم يجرُّون فيه باروخاس المغبوط وقد تراكض اليه كثيرون . وكان البعض منهم يشتم الاسقف القديس واخرون اذ راوا صبره واحتماله وكيف لم يغتظ من شاتميه بل كان بالعكس يترجى ويطلب الى كل منهم برفق ولين ان لا يهينوا جسداً مثل اجسادهم انحازوا الينا وهجموا على ابناء دينهم واخذوا يتضاربون ضرباً اليماً افضي بهم الى الجراح . فانتهزنا نحن فرصة هذه المعمعة والاضطراب وحملنا باروخاس البار وذهبنا به الى الكنيسة المقدسة واذ رايناه لم يزل حياً يتنفَّس اخذنا في معالجته ومداواته واقمنا من اجله صلوة وطلبات العشية وكل الليل . وقد اجتمع كل الاخوة وكان الاسقف البار لا يفتر من البكاء والابتهال الى الله من اجله عالماً بعظم غيرته الالهية . فنظر الله الى دموع الاسقف البار وطلبات الشعب (الذي كان يعتبر

يتزلَّفون اليه اما بواسطة المال او برابط الدين بل الالحاد ملتمسين الايقاع والاضرار بالمسيحيين . فكان برفيريوس المغبَّط حزيناً جدًّا لذلك لا يفتر من التوسل والابتهال الى الاله المحب البشر لا نهاراً ولا ليلاً طالباً ان يردَّهم من الضلال ويهديهم الى دينه الحقيقي . وقد تعرَّضت آنفاً بذكر باروخاس المغبوط واعداً باستيفاء اخباره فاقول بالاجمال انه كابد عذابات كثيرة من عَبَدة الاوثان . من ذلك انه ذهب يوماً الى قرية قريبة من المدينة في جباية ضريبة كنايسية وكان المديون بها عبَّاداً للاوثان فاراد المماطلة وتاجيل الدفع فلم يقبل باروخاس التقي فنشأ عن ذلك بينهما مشاجرة وخصام فما كان من خصمه الاثيم الا انه استصرخ بعض فلاحين من اهل قريته يشبهونه فاجتمعوا على باروخاس المغبوط واشبعوه ضرباً بالنبابيت ثم حملوه بين حي وميت وطرحوه في مكان خالٍ خارج القرية . فبقي هناك منقطع الصوت فاقد الشعور لا حراك به . وفي اليوم الثاني اتفق بتدبير الهي من قبل حنوّه تعالى ان بَرَّ الشماس كرنيليوس ورجلان اخران من المسيحيين بالقرب من ذلك المكان فوجدوا باروخاس فيه طريحاً فعرفوه فحملوه واتوا به الى المدينة . فلما رآه عَبَدة الاوثان محمولاً وظنوه ميتاً هاجوا وماجوا

معنا في الكنيسة المقدسة حيث ختمهم برفيريوس المغبوط بختم المسيح ثم صرفهم منها بسلام وكان عددهم ماية وسبعة وعشرين شخصاً منهم ثمانية وسبعون رجلاً وخمس وثلاثون امرأة واربعة عشر ولداً منهم خمس بنات . اما نحن فبعد ان ادّينا واجب الشكر انصرفنا بسلام فرحين ومضى كلٌّ منا الى منزله . وقد تواصلت الامطار في كل تلك الليلة وفي اليوم التالي ايضاً بلا انقطاع حتى خشي الكل من ان تنصدع البيوت وتهدم لأن اكثرها مبنيٌّ بالطوب . فابتدا المطر باذن سيدنا يسوع المسيح في اليوم الثامن من شهر اوديناوس ودام يهطل الى اليوم العاشر منه . وشهر اوديناوس عندهم (١) يقابل شهر كانون الثاني عند الرومانيين الاّ ان شهورهم تتقدم على شهور الرومانيين بخمسة ايام . وفي اليوم الحادي عشر منهُ كان عيد ظهور ربنا يسوع المسيح فقضيناه بفرح وسرور نرتل ونشكر الله على كل ما فعلهُ بنا من نواجم محبته البشرية . وقد زادت رعية المسيح في هذا العام ماية وخمس نفوس غير المايه والسبع والعشرين نفساً المذكورين آنفاً

ولكن عَبَدة الاوثان لم ينفكُّوا عن نصب المكايد لبرفيريوس المغبوط وباقي المسيحيين . فكانوا متى حصلوا على حاكم يوناني (٢)

(١) اي عند المكدونيين (٢) وثني

اخبار سيرته واعماله في سجلات فردوس النعيم . وبعد ان تلونا في هذه الكنيسة من الصلوات مقدار ما تلوناهُ في كنيسة القديسة ايريني خرجنا وذهبنا الى مقام شهادة تيموثاوس الشهيد المجيد حيث توجد عظام مايبور الشهيد وثيا المعترفة وتلونا فيه صلوات وسجدنا سجدات توازي في العدد ما تقدم . ثم عدنا الى المدينة وقد تلونا في الطريق ثلاث صلوات وسجدنا ثلاث سجدات فوجدنا الباب مسكَّرًا مغلقًا (وكانت الساعة التاسعة) وكان عَبَدة الاوثان قد سكروه بقصد تسلية الشعب وسروره بمنعنا عن تتميم الطواف . فبقينا امام الباب ساعتين ولم يُفتح لنا . فنظر الله الى صبر الشعب وعويله ودموعه الغزيرة ولاسيَّما خشوع برفيريوس البار وانسجام عبراته وتحرك الى الحنو والرأفة كما جرى على عهد ايليا النبي فاطلق ريحًا قبلية عصفت بعنفٍ فتلبَّدت الغيوم في السماء وابتدأت الرعود تقصف والبروق تلمع وعند غروب الشمس اخَذت الامطار تهطل بغزارة حتى خيل ان قطراتها انما كانت حبّ بَرَد . اما نحن فتجمعنا وانضممنا بعضنا الى بعض ومن شدَّة فرحنا لم نشعر بثقل ما كان . على ان بعض اليونان اذ عاينوا المعجزة التي اجترحها الله على يدنا آمنوا وفتحوا الباب وانضموا الينا صارخين ان المسيح وحده اله وهو وحدهُ قد غلب . ثم اجتمعوا

المسمَّى ابلّيوس فاكتأبوا كلّهم وحزنوا. ثم اجتمع عبَدَة الاوثان الى هيكل مارنا وقدموا من اجل المطر ضحايا وصلوات كثيرة. وكانوا يعتقدون ان مارنا هو زِفس (اي جوبتر) وانه اله الامطار. فلبثوا سبعة ايام يصلون ويسجدون ويخرجون خارج المدينة الى مكان يُدعَى مكان الصلاة بدون فائدة فضجروا وتراخت عزائمهم فعادوا الى اشغالهم بدون ثمرة. فاجتمع المسيحيون في هذه الاثنا رجالاً ونساءً واولاداً وعددهم جميعاً مايتان وثمانون نفساً وطلبوا الى برفير يوس البار ان يخرج بهم للصلاة والطواف خارج المدينة من اجل انحدار الامطار وكانت قد حصلت اذ ذاك مجاعة وكان عبَدَة الاوثان ينسبون انحباس المطر الى قدوم برفير يوس المغبوط كما تقدم القول. فاجابهم البار ملبّياً طلبهم وامرهم جميعاً بالصوم والحضور عشية الى الكنيسة المقدسة لاقامة صلاة الاغربية. فقضينا الليل كله نصلي وقد تلونا فيه ثلاثين صلاة او اقل عدا تراتيل الخورس والقراءات وسجدنا ثلاثين سجدة. وفي الصباح خرجنا بالتراتيل والتسابيح والصليب الكريم يتقدمنا قاصدين الكنيسة القديمة وكانت غربيَّ المدينة وبانيها على ما قيل هو اسكليباس الاسقف الكلي القداسة والغبطة الذي كابد اضطهادات كثيرة عنيفة في سبيل الايمان الارثوذكسي فتدوّنت

الجهيد الاَّ نحو الساعة الثالثة بعد الغروب فدخلنا مدينة غزة.
وقد عرضت هذه المشقات لبرفير يوس البار بتدبير الشرير
المعاند فاحتملها ذاك الصديق بدون غيظ ولا ضجر لظنه بأَن
الشيطان انما قصد بهذه المكيدة صدَّهُ عن دخول المدينة. فتوجهنا
نرًا الى دار الاسقفية التي كان الاسقف ايرينيون القديس السابق
ذكره قد بناها هي والكنيسة المقدسة المدعوة ايريني (اي السلام).
وقد دُعيت بهذا الاسم لاحد سببين على ما يقال. احدهما زعم
اهل غزة انه لما استولى الاسكندر المكدوني ذو القرنين على هذه
المدينة اتبع راي مستشار لهُ فانكفّ في هذا المكان عن القتال
فسمي المكان ايريني (سلماً او سلاماً) فبنى ايرينيون المغبوط
الكنيسة في هذا المكان المحترم لدى اهل غزة. والثاني مجانسة
اسمها الاسم بانيها ايرينيون البار. فايّهما كان السبب في تسميتها لم
يزل هذا الاسم عليها الى الان. فنحن قصدنا دار الاسقفية
المذكورة وكانت صغيرة

وفي هذا العام اتفق ان تُحبَس الامطار عن تلك الارجاء
فنسب اهل المدينة ذلك الى حضور برفير يوس المغبط زاعمين ان
الالهمارنا اوحَى اليهم ان قدم برفير يوس نحس وقدومه شؤم على
المدينة. فمرَّ الشهر الاوَّل المسمَّى ذيوس بدون مطر وكذا الشهر الثاني

والحاحه تعشَّينا عنده وقد جرت بينهما احاديث روحية كثيرة . ثم نمنا قليلاً ونهضنا الى الاغربنيا . وكان يوحنا المغبوط قد استدعى وفد اهل غزة في تلك الليلة وقال لهم استعدوا للسفر . فانكم في الغد تأخذون كاهنكم الذي الهمني الرب بانتخابه وهو رجل كامل لا شائبة فيه محب لله غيور على الايمان . وفي الصباح ساموه اسقفاً على غزة بالرغم عنه فانزعج وبكى كثيراً ولم تكن عبراته تنشف لانه كان يقول انه غير اهل لمثل هذه الدرجة الكهنوتية ولم ينكفَّ عن ذلك الاَّ بالتماس وتوسل اهل غزة والمسيحيين الذين كانوا موجودين هناك . وبعد اقامة قداس الاحد الالهي دعانا ثانيةً رئيس الاساقفة للغداء معه . ثم رخص لنا بسرعة السفر . فاقمنا في قيسارية يوماً ثانياً ثم سافرنا منها الى مدينة ديوسبوليس وبتنا فيها وفي الغد سافرنا منها وفي العشية دخلنا غزة وقد كابدنا دون الدخول اليها مشقات واكداراً كثيرة . وذلك لانه بالقرب من مدينة غزة على الطريق قرى كثيرة لعبدة الاوثان فوضع اهلها على كل الطريق عمداً اكداساً من الشوك والعوسج حتى لا يستطيع الانسان اجتيازها وصبوا على الاكداس اوخاماً واقذاراً ومواد كريهة الرائحة واشعلوها فكدنا نختنق من شدَّة كراهية الرائحة وتعمى ابصارنا من كثرة الدخان ولم نتخلَّص من ذلك بعد الجهد

برفيريوس المغبوط وانا ومكاريان وخادم آخر جديد اسمه باروخاس كان برفيريوس قد وجده قبل قليل من الزمان مطروحاً على قارعة الطريق مريضاً مدنفاً فاخذه واعتنى به وآساه وبذل في تمريضهِ كثيراً من التعب والنفقات فنال الشفاء بمعونة السيد المسيح واستمرَّ مقيماً عنده يشاركني في خدمته. وفيما يأتي سانكلم عمَّا يتعلق بباروخاس هذا. فسرنا الخمسة ذلك اليوم كله وفي الثاني وصلنا الى قيسارية فانتشر خبر وصولنا في كل المدينة. لان برفيريوس البار كان ذائع الصيت لمحبته للفقراء واحسانه اليهم. اما نحن فتوجهنا توًّا الى النُّزل. فالما سمع رئيس الاساقفة يوحنا المغبوط بخبر وصولنا اتى الينا مسرعاً فعانق برفيريوس مقبّلاً ثمَّ صلَّيا قليلاً وجلسا فقال رئيس الاساقفة لبرفيريوس قم يا اخي ورافقني من اجل المسيح لنأكل معاً قليلاً من الطعام ثم ننهض باكراً لصلاة اغربنيا الاحد. وقد كان وصولنا الى قيسارية يوم السبت. اما برفيريوس المغبوط فطلب اليهِ ان يعفيه من مرافقتهِ للاكل تلك الليلة وذلك بسبب وعكة الطريق والتعب واعداً بالذهاب الى الاغربنيا بعد اول غفوةٍ من النوم. فلم يقتنع رئيس الكهنة ولم يعفِهِ فنهض برفيريوس ورافقه مستصحباً اياي (وترك باروخاس الاخ في النُّزل عند الثياب) واجابةً لطلبه

يا ابناه . فاجابني قائلاً اني رايت المخلص في الليلة البارحة يقول لي ردَّ الوديعة التي ائتمنتك عليها فاني اريد ان ازوجك بامراة وضيعة الشان ولكنها دمثة الاخلاق حسنة السيرة . اما انت فمتى اتخذتها زوجة فزيّنها بالحلى حتى تنسى هي فقرها السابق فانها وان كانت ذات ضعةٍ فليست هي بغريبة عني بل اخت لي شقيقة فاحترس متى تزوجت بها ولحقك همّ البيت من ان ترتزق لسد حاجياتك من مال الظلم او الاغتصاب او الحرام . فانك بذلك تغيظني وتحزنها لانها تمقت مثل ذلك . فاصلح انت النية فتحصل على كل ما تحتاج اليه من حيث لا ترجو ولا تتوقَّع . هذا ما اعلنه لي السيد المسيح في الليلة الماضية . واحتسب من اني برغبتي في التكفير عن خطاياي اكفّر عن خطايا كثيرين غيري ولكن لا يجب ان نعاند ارادة الله . قال هذا ومضى وانا معه لزيارة الاماكن المقدسة والسجود للصليب الكريم وبعد ان صلَّى كثيرًا وبكى وضع الصليب المحيي الكريم ضمن صندوقته الذهبية واقفلها بحرصٍ عظيم ومضى الى ابرائيليوس الاسقف المغبوط فسلمه المفاتيح وتزود بدعائهِ واستودعه الله وخرج من عنده ثم اتينا الى مقرّنا وتأهّبنا متزودين بكل ما كان فيه واستأجرنا دواب وخرجنا للسفر وكان الركب مؤلَّفًا من خمسة انفار هم

العلمانيين والحق يقال رجال ذوو لياقة بسيرتهم الفاضلة وكمال صفاتهم. واذ اشتد الجدال بينهم ولم يتم الانتخاب اجمعوا على ان يتوجه خمسة من الاكليريكيين منهم وخمسة من وجهاء العلمانيين الى رئيس الاساقفة (او المطران) ويطلبوا منه اسقفاً من يلهمه به الروح القدس وكان رئيس الاساقفة اذ ذاك يوحنا رجلاً خبيراً محنكاً مزيناً بالحكمة ومتحلياً بالفضائل فلما حضره وفد غزة وطلب اليه ان يعطيهم اسقفاً قادراً على مصادمة عبادة الاوثان قولاً وفعلاً امر بصوم ثلاثة ايام الهمه الرب بعدها بانتخاب برفيريوس المغبوط اسقفاً فبعث في الحال بكتاب الى ابرائيليوس البار اسقف ورشليم في طلب برفيريوس المغبوط بحجة الاحتياج اليه لحل آية في الكتاب المقدس اشكلت عليه. وكان برفيريوس ماهراً افي حل ما أشكل فهمه من ايات الكتاب المقدس وذلك بنعمة الروح القدس. فصدق ابرائيليوس الالهي ما كتب اليه يوحنا لمغبوط وارسل برفيريوس موصياً اياه ان لا يعتاق اكثر من سبعة ايام. اما برفيريوس فلما سمع مضمون كتابة يوحنا البار اضطرب في البداءة ثم قال لتكن مشيئة الله. ثم دعاني في تلك الليلة وقال لي لنمضِ اولاً ونزُرْ الاماكن المقدسة ونسجد للصليب الكريم فانه سيمر زمان طويل على غيابنا عن زيارتها. فقلت ولماذا تقول ذلك

الشريفة لم يغير عوايده ولا سلوكه بل لبث ملازماً شقاء التقشف والنسك لا ينقطع عن الصوم والقنوت . وكان ايام الصوم يكتفي باكل الخبز الدون والخضر ولا يفطر الا بعد غروب الشمس واما باقي الايام فكان يفطر الساعة السادسة من النهار فياكل زيتاً وجبناً وحبوباً منقوعة ويشرب كاس خمر ممزوج بالماء لتقوية معدته الضعيفة وقد استمر على هذا الترتيب في المعيشة الى اخر يوم من حياته .

وبعد ثلاث سنين من سيامته قسّاً توفي انيّاس اسقف مدينة غزه السابق ذكرها ولم يقم في كرسي اسقفيتها الاّ زمناً قصيراً متخلفاً عن اسقفها ايرينيون الذي توفي اسقفاً عليها بعد ان سار على الارض سيرة ملايكية . فكان من الغير الممكن الاكتفاء في الثناء عليه بالتعرض بل من الواجب ان تكتب ترجمة حياة هذا البار السعيد الذكر في مؤلف خاص . فندع ذلك لغيرنا من المؤلفين العالمين ترجمة حياته حق العلم . ونعود الى كلامنا عن برفيريوس البار فنقول لما توفي انياس البار اجتمع المسيحيون في غزة وكانوا اقلاّء جداً ولبثوا اياماً عديدة يتذاكرون في من يقيمون اسقفاً عليها فلم يتفقوا بل انقسموا حزبين احدهما اراد ان ينتخب واحداً من الاكليريكين والاخر واحداً من العلمانيين فانه كان بين

شغل يدٍ غير هذا اراد ان يقتدي بالرسول المشار اليه في ذلك ايضاً كما اقتدى في احتمال المشاق والاوجاع والاضطهادات والاخطار وهيجان الامم عليه . وكنت انا اطلب اليه ان يشاركني في المعيشة (فاني كنت في وفرةٍ من دخل صناعتي) فلم يقبل بل كان يقول « اننا لم نأتِ الى العالم بشيءٍ فلا يمكننا ان نخرج منه بشيءٍ » . ويقول ايضاً «مَنْ لا يشتغل فلا يأكلنَّ» . فاتخذت الدالة مرَّةً وقلت لهُ ولماذا لما كنت في سعة لم تكن تشتغل ولم تسمح لي بان اشتغل . فاجابني ان ما كنت أشتغله قبلاً كان اكثر واعظم من شغلي الآن باضعاف . فان شغلي الآن يقوم بأود واحدٍ او اثنين فقط واما شغلي قبلاً فكان يقوم بأود ربوات من الناس وفضلاً عن ذلك كان يمنح نفسي غذاءً روحيًّا

فسمع والحالة هذه رئيس كهنة المدينة المقدسة ابراييليوس باسم برفيريوس البار وبسيرته فاستدعاه وسامه قسًّا بلهفة واهتمام عظيم واناط به حراسة عود الصليب الكريم فعلمنا اذ ذاك انه قد تم له ما كان قد رآه قبلا في حالة ذهوله كما تقدم اذ راى الرب يسوع على الصليب واللص معلَّقًا بجانبه وسمعه يقول له خذ قطعة الخشبة هذه واحتفظ لي عليها جيدًا . وكان له من العمر حين سيم قسًّا نحو خمس واربعين سنةً . ومع حصوله على هذه الدرجة

يردُّ على غير المومنين وعلى ذوي العقائد الفاسدة من المؤمنين
ردًّا سديداً بفحمهم به وكان محباً للفقراء شفوقاً سريع الدمعة
يوقر الشيوخ كاباء ويعتبر الشبان كاخوة ويحب الاطفال كاولاد
له. وكان وضيعاً دمث الاخلاق لين العريكة رقيق الكلام لا
عنْ تصنع ورياء بل على وجه الحقيقة (لانه لم يكن فيه غش).
عفيفاً للغاية حتى اتصل الى كمال عدم التاثر بالشهوة حليماً
لايغضب ولايحقد ولا يسمح بان تغيب الشمس على غيظه. وقد
ماتت فيه جميع الآلام النفسانية ما عدا الغضب والغيظ من
اعداء الدين. فلما استلم مني النقود وباقي الاشياء التي احضرتها
معي باع الثياب واما الفضة فصاغها اواني مقدسة شريفة والنقود
وزعها في قليل من الزمن على المحتاجين لا في المدينة المقدسة فقط
بل في مدن غيرها ايضاً وفي قرى واديرة مختلفة ولا سيما ديارة
القطر المصري فانها كانت فقيرة جدًّا. وقد صار ابرهيم عصره
في معاملة الغرباء المقيمين في اورشليم فبدد ثروته كلها في قليل
من الزمن حتي غدا في حاجة الى غذائه اليومي الضروري فانعكف
على صناعة السكافة فصار يغسل جلوداً ويخيطها احذية مقتدياً
في كل شيءٍ بذاك الرسول الالهي الذي لم يشأْ ان ياكل خبزه
مجاناً بدون تعب ومع انه كان في امكانه ان يحصل رزقه من

فاخذت استغيث صارخاً كاللص «اذكرني يا رب اذا اتيت في ملكوتك ». فقال المخلص للص المصلوب انزل عن الصليب وخلص ذاك المنطرح كما خلصت انت . فنزل اللص عن الصليب واحتضنني وقبلني ثم مدّ لي يدهُ وانهضني قائلاً تعال الى المخلص . فنهضت على الفور وعدوت ركضاً الى المخلص فرأيتهُ قد نزل عن الصليب . فقال لي خذ قطعة الخشبة هذه واحتفظ عليها جيداً . فتناولت تلك القطعة الشريفة وهي من خشبة صليبهِ الكريم وفي الحال افقت من ذهولي فعاد اليَّ رشدي ومن تلك الساعة لم يصبني الَم ولم يعد محل المرض يُعرَف . فلما سمعت انا ذلك انذهلت متعجباً ومجّدت الله الذي يعامل دائماً برحمته اولئك الذين يستغيثون به ولا سيما الذين يطلبون اليهِ مبتهلين عن طهارة سريرة وصفاء نية

فحملني هذا الامر على زيادة التعلق بهذا الرجل وملازمته (وكنت اعتبره عبداً لله حقاً) فسلمته كل ما احضرت معي واقمت عنده اخدمه واتمتع باقوالهِ الروحية وقد كان في الحقيقة رجلاً غير ملوم على نقيصة وديعاً للغاية رحوماً متضلعاً بمعرفة الكتاب الالهي ماهراً في تفسير معاني ما ابهم فيه يحل ما اشكل منه احسن من كل مَن سواه وكان متلمظاً بالعلوم الخارجية العالمية قوي الحجة

الموجودات من منقول وغير منقول فبعتهم الاملاك الغير المنقولة بمبلغ ثلاثة الاف دينار واما الثياب والرياش والاواني الفضية والف واربعماية دينار من النقود غير ثمن الاملاك فقد جمعتها في مدة ثلاثة اشهر وابحرت راجعاً فوصلت الى ثغر عسقلان في اثني عشر يوماً ثم استأجرت دواب حملت عليها تلك الاشياء واتيت المدينة المقدسة . فالما رأني ذلك الاب المثلث الغبطة عانقني فرحاً قرير العين وبكى (فربَّ فرح يحرك الى البكاء) . ولكن خفيت عليَّ معرفته لانه كان قد تعافى فصح جسمه وزها وجهه وتورَّدت وجنتاه فحدَّقت به مليًّا وكدت اكذب العيان . ففطن هو للامر فتبسم بلطف وقال لي لا تعجب يا اخي مرقس من رؤيتي معافىً صحيح الجسم بل قف على سبب شفائي وتعافيّ تذهل متعجباً من حنو المسيح ومحبته للبشر التي لا توصف وتعلم ان حصول ما ييأس الناس منه هو مستطاع عند الله . فطلبت اليه ان يخبرني عن كيفية شفائه وزوال ذلك الداء العضال . فاجابني قائلاً اني من نحو اربعين يوماً فيما كنت في صلاة اغربنيا الاحد اصابني الم في الكبد شديد جدًّا فمضيت من شدة الوجع وانطرحت بالقرب من الجمجمة المقدسة وغبت عن الرشد ساهياً فرأيت المسيح مسمَّرًا على الصليب واحد اللصين معلَّقًا معه على صليب آخر

لي وانا ماضٍ في طلب مغفرة خطاياي ان اتوكأ على ايدي غيري . فدع يا اخي ان يرى الله عنائي حتى يعاملني بحنوه الذي لا يوصف ويرحمني . وكان يداوم الذهاب لاستماع الاقوال الالهية من معلمي الكنيسة والاشتراك في المائدة المقدسة بتناول الاسرار الالهية ثم يعود الى مقره . ومما ياتي تظهر طريقة عيشته جلياً . فانه كان لا يكترث بالالام والاوجاع اصلاً كأنّ الداءَ في غيره لا فيه لان رجاءَهُ الوحيد بالله كان يخفف عنهُ الالام ويهوّن عليه الداءَ . وانما كان يوله ويحزنه بقاءُ ثروته وعدم بيعها وتوزيعها على الفقراء اتباعاً لقول الانجيل الشريف . وكان السبب في بقائها الى ذلك الحين كون اخوته صغار السن قاصرين حينما هاجر هو من وطنه . وفيما كان مغموماً من هذا الامر كثيراً طلب مني يوماً وقد آلف عليَّ لاني كنت اخدمه لسقمهِ وضعف جسمه ان اسافر الى ثسالونيكية لاقتسم انا واخوته ثروتهم الشائعة . فاجبته الى طلبه فاصحبني بكتاب وكالة وتفويض وسرحني على اسم الله مودعاً واعطاني قليلاً من النقود للنفقة اذ لم يكن ذا سعةٍ فانحدرت في الحال الى عسقلان ومنها ابحرت في سفينة ركبتها وكان سفرنا موفقاً . فوصلنا في ثلاثة عشر يوماً الى ثسالونيكية وبموجب كتاب الوكالة الذي بيدي اقتسمت انا واخوته

زائرًا ثمَّ مضى الى ضواحي نهر الاردن واقام في مغارة فيها مدة خمس سنوات مكتفيًا بشظف العيش ولكنه من شدَّة تقشفه وعدم صلاحية المناخ لتقلب الهواء في تلك الارجاء أُصيب بمرض عضال . واذ رأى نفسه في خطر عظيم طلب عن تدبير الهي من احد معارفه ان يمضي بهِ الى اورشليم وكان مرضه انتفاخًا في الكبد وحمَّى دق غير منقطعة . وفيما كان مصابًا بهذا الداء واحشاؤُهُ تتألَّم وجسمه ينتحل ويهزل لم ينقطع عن زيارة الاماكن المقدسة والسجود فيها كل يوم يمشي اليها منحنيًا متوكئًا على عصا لعدم استطاعته تجليس قامته

وقد اتفق ان ابجر انا ايضًا في تلك المدة من اسيا بقصد زيارة الاماكن الشريفة . فلما اتيتها اقمت فيها مدة من الزمان طويلة اتعيَّش مرتزقًا من شغل يدي فاني كنت خطّيطًا ماهرًا . واذ رأيت هذا البار برفيريوس لا يفتر عن التردد على كنيسة قيامة المسيح وباقي الكنائس المقدسة عجبت كيف وهو في سقم وضعف شديد لا يتوانى بذلك . وقد رأيته يومًا على درج المقام الذي بناه الملك قسطنطين المغبوط تذكارًا لتقواه لا يقوى على نقل قدمه اسرعت ومددت لهُ ذراعي وطلبت اليهِ ان يتوكأ عليها في صعود الدرج . ولكنه رفض قبول ذلك قائلاً . لا يحق

هذا البار ومستمدًّا بها النعمة والمعونة من مخلصنا الرب يسوع المسيح بحيث امكن من سرد اخبار فضائله على اسلوب متيسر. ولا يرتابنّ مطالعوا هذا المولَّف بصحَّة المقولات فيه فاني اختبرت فضائله وشاهدت اعماله عياناً وقد ساكنته ورافقته في الاسفار برًّا وبحرًا وشاركته في الاتعاب والمشقَّات ولزمته حتى اخر يوم من حياته على الارض. فابتدئ بالترجمة قائلاً

ان غزة مدينة من اعمال فلسطين تناخم ارض مصر وهي ليست من المدن الحقيرة بل مدينة شهيرة كثيرة السكان. وكانت عبادة الاوثان زاهرةً فيها نامية بين سكانها يهيمون متهوّسين بها. فعلى هذه المدينة والحالة هذه ارتضى برفيريوس البار موضوع ثنائنا ان يُسام اسقفاً وكان وطنه الارضي مدينة ثسالونيكية اما وطنه الحقيقي فكان اورشليم السماوية التي انتظم بطهارة سيرته في سلك ابنائها وكان غنيًّا شريف النسب فداخله العشق الالهي وتمكَّن منه فحمله على ترك الوطن وشرف النسب والغنى الطائل واغراه باعتناق عيشة التوحد والزهد فابحر من ثسالونيكية وطنه مهاجراً واتى ارض مصر وفي الحال قصد سيقاً فيها واقام به وبعد ذلك بايام قليلة استحق الاتشاح بالاسكيم الشريف واقام مع اباء ذلك السيق الابرار مدة خمس سنوات. ثمَّ ثار به شوق الهي الى زيارة الاماكن المقدسة فجاءها

الغلبة ونصب في وسط مدينة غزة راية ظفر هي الكنيسة المقدسة التي شادها فيها للمسيح ولم ينل ذلك بقوة بشرية عادية بل بنعمة الله التي استحقها بخلوص نيته وثبات عزيمته . فانه لحرارة محبته للمسيح وشدَّة وَلَهِه به تجلَّد صابرًا على مكابدة كل انواع المصائب في سبيل تعبُّده له واجرى كل ما يقتضيه ولهُ بهِ من الاعمال وقد احتمل كل تهجمات الاعداء وغاراتهم العنيفة ومكائِدهم وكل نوع من الهزء والسخرية من قبَلهم . واذ كان من غير الممكن استيفاء اخبار هذا الرجل المغبوط لوفرتها ولامكان توهم كثيرين عدم الصحة فيها اكتفي بذكر بعضها ممَّا لم ازل اتذكره وقد ساكنته زمنًا طويلاً وتمتعت بنفثاته المنبعثة عن نفس مهيبة مغبوطة كانت وهي على الارض تتديَّر مع الملائكة . وكيف لا اقوم بواجب مديحه والثناء عليه وقد تزين بجميع انواع الفضيلة . فلذلك مع علمي بان الكلام لا يفي فضيلة رجل مثله حقَّها باشرت كتابة ترجمة حياته معتضدًا ببركة صلواته المقدسة وغير متحرٍّ فصاحة اللفظ ولا بلاغة العبارة فليس من شان الفصاحة والبلاغة في ترجمة حياة رجل مثله ان تزيداه زينةً وفخرًا بل من شان فضائله واعماله ان تكسب العبارة رونقًا وجمالاً . فعلى هذا المنوال عمدت انا الى كتابة هذا المولَّف معتضدًا ببركة صلوات

دخول الفساد على الروايات مع تقادم العهد اما عفواً عن ذهول ونسيان او عمداً عن غرض وغاية عمدت الى كتابة ترجمة حياة برفيريوس الرجل القديس البار مخافة ان تصاب اعماله الباهرة على كرور الزمان بآفة النسيان مع ان ذكراها دواء ناجع يشفي نفوس سامعيها . ثمَّ من اكبر العار وايم الحق ان يسهب الشعراء وكتبة الروايات ومن حذا حذوهم من المؤلفين الكلام في القصص الفكاهية المضحكة والخرافات العجائزية ونضرب نحن صفحاً عن تراجم الرجال القديسين المستحقي الذكر طارحين اخبارهم في زوايا النسيان . فلا ريب باني ارتكب اثماً والحق يقال ان لم ادون في الصحف ترجمة حياة رجل من اصفياء الله مثل هذا قد تولع بالسيرة الملائكية السماوية فاعتنقها فصار بحياته معلماً للفلسفة الحقيقية . فهذا ما حملني على كتابة اخبار مقاوماته ومحارباته لا لزعماء عبدة الاوثان وحماة ذمارها فقط بل لجمهور برمّته مغرم ومتهوس بها . وقد كان هذا البار لا يفتر من ذكرى كلام بولس الرسول المغبوط القائل خذوا سلاح الله الكامل لتستطيعوا ان تقاوموا في ذلك اليوم الشرير وبعد ان تتمموا كل شيء ان تثبتوا . وكما ان هذا الرسول قد اخذ السلاح المذكور فولج ميدان الجهاد كذلك فعل القديس برفيريوس مقتدياً به في الجهاد فنال اكليل

ΒΙΟΣ
ΠΟΡΦΥΡΙΟΥ ΕΠΙΣΚΟΠΟΥ ΓΑΖΗΣ.

ترجمة

حيوة القديس برفيريوس اسقف غزه

ان معاينة جهادات الرجال القديسين وافعال غيرتهم الالهية تفيد جدًّا (لان جهاداتهم اذا شُوهدت تغدو موضوع هيام) ولكن سماع اخبارها ايضاً لا يخلو من فائدة عظيمة متى رواها اناس صادقون يعرفونها حق المعرفة فانها تسترق النفوس. ولا ريب بأَن العيان اصدق من السماع الاَّ ان الانسان بالسماع ايضاً يقتنع بصحة المقولات متى كان الرواة صادقين. ولو استمرت رواية الاخبار المفيدة سالمة من شوائب الاهواء والاغراض وبقي الصدق غير منغول بالكذب لم يكن حاجة الى تدوينها في مؤلفات بل كان نقل الاخبار الصادقة بالرواية خلفاً عن سلفٍ وافياً بالغرض كافياً للفائده. ولكن اذ كان لا بدَّ من

Εὐχὴ καὶ εὐλογία ἀπὸ τοῦ Παναγίου καὶ Ζωοδόχου Τάφου.

منحة دعاءٍ و بركةٍ من قبل القبر المقدس



Πρᾶξις Τυπογραφείου. Ἀριθ. 167.

عمل المطبعة عدد ١٦٧

Gaussin 2815

ΒΙΟΣ ΤΟΥ ΑΓΙΟΥ ΠΟΡΦΥΡΙΟΥ
ΕΠΙΣΚΟΠΟΥ ΓΑΖΗΣ.

ترجمة

حياة القديس برفيريوس اسقف غزة

(المعاصر للقيصر اركاديوس الذي ملك سنة ٣٩٥–٤٠٨م)

لشماسه مرقس

عُرّبت عن اليونانية بقلم وهبة الله صروف

وطُبعت بأمر السيد الجليل كيريوس كيريوس
داميانوس الاول البطريرك الاورشليمي الكلي الغبطة

في اورشليم
بمطبعة القبر المقدس البطريركية
المختصة بدير الروم العامر
سنة ١٩٠٠

2815

Bucheinband von
JOSEF ERDMANN
BONN, Dollendorferstr. 144

d.d.d.
P. Deutsch. C.M.
2815

ΒΙΟΣ ΤΟΥ ΑΓΙΟΥ ΠΟΡΦΥΡΙΟΥ
ΕΠΙΣΚΟΠΟΥ ΓΑΖΗΣ.

ترجمة

حياة القديس برفيريوس اسقف غزة

(المعاصر للقيصر اركاديوس الذي ملك سنة ٣٩٥–٤٠٨م)

لشماسهِ مرقس

عُرّبت عن اليونانية بقلم وهبة الله صروف

وطُبعت بامر السيد الجليل كيريوس كيريوس

داميانوس الاول البطريرك الاورشليمي الكلي الغبطة

في اورشليم

بمطبعة القبر المقدس البطريركية

المختصة بدير الروم العامر

سنة ١٩٠٠